تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

التهييء الرباني للنبوة الخاتمة قبل البعثة المحمدية

ذ. المفضل فلواتي ص : 4

ما أكثر الاحتفال بميلاد سيدنا محمد ﷺ وما أقل العمل بشريعة الله وسنة نبيه عليه السلام

د. عبد السلام الهراس ص : 16

المحجة

البريد الإلكتروني : almahajja@maktoob.com
almahajjafes@gmail.com

■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
جامعة نصف شهرية
15 ربيع الأول 1431هـ - 02 مارس 2010م
الثمن : 3 دراهم
العدد : 335

اليوم العالمي للمرأة والدور المطلوب

المرأة المسلمة المعاصرة بين التحرر المشهود والتحرر المنشود

د. محمد الأنصاري

المفهوم الشرعي للأسرة

د. فريد الأنصاري

كيف يبني الإسلام أسرة صالحة؟

ذ. محمد بوهو

دور الأم في صلاح المجتمع

ذ. امحمد رحماني

"المؤسسة التربوية الأولى" وضرورة إعادة الاعتبار

ذ. محمد عاديلي

ضرورة التجديد الإعلامي

الإعلام لسان السياسة المخططة والمتبعة :

قيل قديما «المرءُ بأصْغريْه : قلبه ولسَانه» وقيل أيضا «المرْءُ مخْبُوءٌ تحْتَ لسَانَهَ» وَقيلَ أيضا «تكلَّمُوا تُعْرفُوا» مما يدلّ دلالة واَضحة على أن الإعلام هو لسانُ النظُم، ولسانُ الشعوب، ولسانُ الأمة، ولسانُ الأحزاب، ولسانُ التيارات والمذاهب والجماعات.

فاسْمَعْ لإذاعة شعب، أو فضائية دولة، أو اقرأ جريدة حزب، تعْرِفْ المتّجَة، وتعرفْ الهدَفَ، وتعْرفْ الهمَّة!!

ونظراً لغياب هَدف الرسالة، أو غياب المُهمَّة التي منْ أجلها وُجدتْ الأمّةُ الإسلامية، نظراً لغيَاب ذلك فإنك إذا ألْقيتَ نظرة عابرة على إعلام شُعوب ودُول أمتنا تجدْ إعْلامَ شعوبنا غارقاً في تعْبيد المُسْتضْعَفين لأصحاب السلطة، وأصحاب المال، وأصحاب الحزب الحاكم، وأصحاب الفكر الذي يسْتحْمرُ الشعوب فيُلْهيها بالفُتات من الوظائف، والفتاتَ من الحرية، والفتات من الدّيمقراطية، والفتات من الإكْرامات، والفتات من المشاريع التي تؤسَّسُ ويعاد تأسيسُها أحيانا، وتُصْلَح ويعاد إصلاحُها أحيانا، وتُرقَّع ويعاد ترقيعها أحيانا كثيرة، ويا ويْلَ من فضَحَ المستور، وتعدى الحدّ المقدور!!!

فهلْ هناك مهزلة أكبر من مهزلة تأسيس ثلاثين، وأربعين، وخمسين حزباً في الشعب الواحد الذي لا يتعدى سكانه بضع عشرات الملايين؟! بينما الدول المتقدمة التي سكانُها مئاتُ الملايين لا تتعدى الأحزاب فيها حزبَيْن أو ثلاثة؟!

فما هي أهدافُ هذه الأحزاب المتناسلة تناسل النمل والجراد؟! مع الاعتذار لممالك النمل والجراد لأنها تعرف هدفها بالضبط وتتعاون على إنجازه؟!

فما مشروعية تعدُّدها وتنوُّع المضامين يكادُ يكون معدوما؟! وما مشروعية تعدُّدها وسَقْفُ الحريات والتطلُّعات والطموحات محدودٌ جداً؟! فهل تسْتطيع أن تُبْدع تحت السَّقْف المحْدُود، والضوء الأحمر الممدود؟! وهل تستطيع أن تنتج شيئا غيْرَ المطالب المكرورة؟! والخطابات المملُولة؟!

وهل هناك مهْزَلةٌ أكبرُ من أن تكون هذه الأحزاب تؤسَّسُ لنيل المناصب وليْس لخدمة المبَادئ؟! وتؤسّسُ لوأْدِ بعضها بعضاً بدل أن تتعاَون وتتكامل؟!

إن هذا يدلُّ على شيء واحد ووحيد هو عَدَم وجود هدف!!! هو ضَيَاعُ وتضييعُ الرسالة التي من أجْلها وُجدت الشعوب المنتمية للإسلام بصدق وإخْلاص. وضياعُ الهدف الكبير، والرسالة الإنسانية العظيمة معناه التيهانُ والدّوران في دائرة حمَار الطاحونة الذي يظل النهار كله يدور حول نقطة واحدة وهو معصوب العينَيْن لا يرَى أيّ أفُق من آفاق الحياة المحيطة به فضْلاً عن الحياة الغائبة عنه؟! ﴿أفَحَسبْتُم أنّما خلَقْناكُم عَبثاً وأنّكُم إلَيْنا لا تُرْجَعُون﴾(المومنون : 116).

الله تعالى قسّم الإنسان إلى مؤمن وكافر، فقال : ﴿**هُوَ الذي خَلَقَكُم فمنْكُم كافرٌ ومنكُم مُومن**﴾(التغابن : 2) وقال للمؤمنين ﴿**وأنّ هذا صراطِي مُسْتقيماً فاتّبعُوه**﴾ ونهاهم عن اتباع السبُل الأخرى، فقال : ﴿**ولا تتّبعُوا السُّبُل فتفرّقَ بكُمْ عنْ سَبيله ذلكُمْ وصّاكُمْ بِهِ لعَلّكُم تتّقُون**﴾(الأنعام : 145).

أليس هذا الاهتراءُ التنظيميُّ دليلا على فقدان البوصلة الهادية؟! ودليلا على تضييع الهدف الذي له خُلقْنا، ولهُ استُخْلفْنا؟! وله ينبغي أن نسعى ونحيا ونموت؟! أليس هَذا دَليلاً على أننا متأخرون جداً جداً عن الدول المتقدمة ماديا رغم أنها لا رسالة ربانية لها؟! بل أليس هذا دليلا على أننا متأخرون حتى عن الحيوان والجماد؟!

ألا يقول الله تعالى : ﴿**وإنْ منِ شيْء إلاّ يُسبِّحُ بحمْده ولكن لا تفْقَهُون تسْبيحَهم**﴾(الإسراء : 44) وقال : ﴿**سبّحَ للّه مافي السّماوات وما في الارْض**﴾(الصف : 1) وقال : ﴿**يُسَبِّحُ للّهِ ما فِي السّماواتِ وما فِي الارْض**﴾(الجمعة : 1).

ثمراتُ التجْديد الفكريِّ والهدفيِّ ثم الإعلاميّ :

ثمرات التجديد للفكر والهدف لا تعد ولا تحصى، ويأتي على رأسها :

1) إعادةُ النظر في كل الخطط السابقة المبنية على العشوائية والارتجال، أو المبنية على التقليد الحرفي لمن لارسالة لهم.

2) تجديد العهد برسالة الأمة، وفي التجديد للعهد ما لا يخفى من استئناف تنزُّل الأنوار الربانية، واستمْداد البركات والرحمات الإلهية التي كادَتْ الشعوب تفقد طَعْمها ومذاقها مند عقود التسكع في دروب العلمانية القاحلة.

3) ترسيخ شمولية الدين للدنيا والآخرة، فقد أُصبْنا ومازلنا نعاني من شروخ سياسة الفصل بين الدين والدنيا على كل الأصعدة والمجالات.

4) تطْعيم الشعوب المسلمة -من جديد- بلقاح العزة الإيمَانيَّة، والعدالة الاجتماعية.

5) تصحيح المفاهيم التي تُسَرَّب -إعلاميا وفكريا- للشعوب مُحرَّفةً عن حقيقتها التي أوجَدَها الله عز وجل عليها، كالإرْهاب، والمجتمع المدني، والحداثة، والقيم الكونية، فكل ذلك يقصَدُ به تهميش الدين وعزْلُه عن الحياة، مع أن الله تعالى يقول ﴿**وللّه يَسْجُدُ مَنْ في السّماوات والارْض طوْعاً وكرْهاً وظلالُهُم بالغُدُوِّ والآصَال**﴾(الرعد : 16)، أيَكُون الكوْنُ كُلُّه ساجداً مُسَبِّحاً لله، بينما القيم الكونية في عُرْف الحداثيِّين تعْني تطليق العبودية لله رب العالمين...

6) **إرجاع الحماس للنفوس المتشوقة للتجديد المنهض**: على يد النّخب الواعية، التي تعرف كيف تخطط للمستقبل المنوّر بنور الهدى والتقى، وتعرف كيف تجنِّد الطاقات للتنفيد برضى واقتناع، وتعرف كيف تتجنَّب الأخطار القاتلة باتكالها على الله الذي يتولّى تنوير بصائر عباده الصالحين.

فقد ذاقت الأمة من الهزائم ما أفقدها الثقة بكل المتزعِّمين، وغاب عنها الحماس الذي كان يُخيِّلُ لها أنها ترى زعماءها على صفحات الأقمار والنجوم، بل غاب عنها الحماس الذي كان يدْفعها إلى أن تحمل سيارة الزعيم على الأكتاف، ظنا منها أنها عثرت على «**صلاح الدِّين**»، ثم اكتشفت أنها تهلِّل لدكتاتور جاهل بفنون القيادة، وفنون السياسة، وفنون الحكم، وفنون الرعاية، وفنون الحب، وفنون التواضع، وفنون العدل، وفنون التخطيط الاستراتيجي، وفنون التذلُّل لله المنعم بالتمكين.

إن الشعوب في حاجة شديدة إلى من يوقظ فيها شعلة الحماس لتفجير الطاقات الكامنة في ضمائر شعوب الأمة، بعد تراكم الإفلاسات في كل ميدان، ولا سبيل لذلك إلا على يد الربّانِيِّين المخبوئين في عالم الغيب عند علام الغيوب.

ذ. المفضل فلواتي

إشراقة

عاقبة حسن الخلق

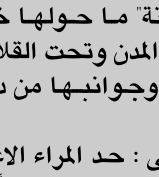

ذ. عبد الحميد صادوق

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال : «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفم والفرج»(رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

قال الطيبي رحمه الله تعالى : تقوى الله إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق، بأن يأتي جميع ما أمر به، وينتهي عن ما نهى عنه، وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق، وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة، ونقيضهما الدخول إلى النار، فأوقع الفم والفرج مقابلا لهما.

لأن شهوة الفرج أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها على العقل عند الهيجان. أقول : أما الفم فحسبك فيه قول النبي ﷺ لمعاذ : «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».

وقال ﷺ : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة»(رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجة).

فإذا عقلت الدرس ضمن لك النبي ﷺ سكناك في أعلى الجنة، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»(حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح). (الزعيم : الضامن).

قال في النهاية : "ربض الجنة" ما حولها خارجا عنها تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع.

وقال القاري : أي نواحيها وجوانبها من داخلها لا من خارجها. والمراد أدنى الجنة.

قال الغزالي رحمه الله تعالى : حد المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما لفظا أو معنىً، وترك المراء بترك الاعتراض والإنكار، فإن كان حقا فصدق به، وإن كان باطلا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه.

وترك الجدال من أهم أنواع الرياضة التي يتم بها كسر النفس لكيلا تترفع على المخالف بإظهار العلم والفضل. وقوله ﷺ : «وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب" أي إطلاقا إلى ما جاءت فيه الرخصة، كالحرب وإصلاح ذات البين».

فإذا استكملت الفضائل وحصلت على حسن الأخلاق كان ميزان حسناتك راجحا، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق. وإن الله يبغض الفاحش»(رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح"

البذيء : الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

قال القاري رحمه الله تعالى : ومن المقرر أن كل ما يكون مبغوضا لله ليس له وزن ولا قدر، كما أن كل ما يكون محبوبا له يكون عنده عظيما. قال تعالى في حق الكفار : ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾.

خاتمة الباب : وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : «البر حسن الخلق. والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»(رواه مسلم).

قال العلماء : البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والعبرة، وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق، ومعنى حاك في الصدر أي تحرك وتردد ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك. قال القرطبي رحمه الله تعالى : فأجابه النبي ﷺ بجواب جملي أغناه به عن التفصيل، فقال له : «البر حسن الخلق» يعني : أن حسن الخلق أعظم خصال البر، كما قال : «الحج عرفة» ويعني بحسن الخلق : الإنصاف في المعاملة، والرفق في المجادلة، والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان. (المفهم ج 6 ص 522).

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية

الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية تثمن قرار المجلس الجماعي لفاس

ثمنت الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية مبادرة المجلس الجماعي لمدينة فاس الأخير، والمتعلق بمشروع كتابة الأسماء باللغة العربية على واجهات المؤسسات، والمتاجر والمكاتب واللوحات الإشهارية.

وقال الدكتور موسى الشامي رئيس الجميعة المغربية لحماية اللغة العربية في تصريح صحفي أن الجمعية سبق لها أن نبهت إلى أن مدينة فاس كباقي المدن المغربية، تعاني من هجمة الحرف اللاتيني على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والإدارية والاقتصادية.

العلم 21599 (25 فبراير 2010)

دبي تكشف عن اغتيال المبحوح وتعلن ارتفاع عدد المتهمين إلى 26 أجنبيا

أعلنت شرطة دبي أنها تشتبه في تورط 15 أجنبيا آخرين من بينهم خمس نساء، في اغتيال ا لقيادي في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) محمود المبحوح، بأحد فنادق الإمارة الشهر الماضي، ليرتفع عدد المتهمين إلى 26 أجنبيا..

وذكرت شرطة دبي أن ستة من المتهمين الجدد يحملون الجنسية البريطانية، إضافة إلى ثلاثة فرنسيين، وثلاثة إيرلنديين، وثلاثة أستراليين، مشيرة إلى أن المشتبه فيهم وصلوا دبي من ست مدن أوروبية وهو نغ كونغ،، وغادروا الإمارة بعد عملية اغتيال المبحوح في رحلات طيران مختلفة إلى عدة مدن، وغادر اثنان منهم دبي على متن سفينة إلى إيران.

وكشفت التحقيقات أن منفذي عملية الاغتيال استخدموا بطاقات ائتمان صادرة من مصرف «ميتا بنك» ومقره في الولايات المتحدة ولم تستبعد شرطة دبي ارتفاع عدد المتهمين مستقبلا.

العلم ع 21600 (2010/02/26)

"واشنطن" تنتج برامج تلفزيونية موجهة لأطفال باكستان

أعلنت "هيئة المعونة الأمريكية" USAID عن خطط لإنتاج برامج تلفزيونية باللغة الإنجليزية موجهة لأطفال باكستان، تشمل تعاونا مع السلطات الباكستانية في إنتاج عدد من الوسائط المتعدد، بكلفة مليار روبية باكستانية (حوالي 5.1مليون دولار).

ورأى كتاب ونشطاء باكستانيون أن تخطيط "واشنطن" لإنتاج هذه البرامج يعد محاولة لكسب قلوب وعقول الأطفال، والقضاء على مشاعر العداء المتنامية للولايات المتحدة في باكستان.. لكن خبراء شككوا في جدوى هذا الأسلوب، لأنه "يتعارض مع هوية المجتمع الباكستاني وقيمه الإسلامية"، ووصف أحدهم هذه البرامج بأنها "مستحضرات تجميل تهدف إلى تغيير بنية تفكير الأطفال إلى النمط الأمريكي الغربي".

المجتمع 1888 (6/2/2010)

جنرال بريطاني : الطرق كانت أكثر أمانا في ظل حكم "طالبان"

أثار جنرال بريطاني بارز في أفغانستان، جدلا واسعا عندما صرح مؤخرا، بأن السفر على طرق البلاد المضطربة الآن، صار أكثر صخرا مقاربة بما كانت عليه الحال إبان حكم "طالبان". وقال الميجور جنرال نيك كارتر الذي يقود قوات حلف شمال الأطلسي في جنوب أفغانستان : إن الفتيات كان يمكنهن التنقل بمفردهن بين المدن الكبرى من دون خوف من أذى قبل غزو 2001.

البلاغ 1874 (دجنبر 2009)

قناة تركية ناطقة بالعربية بدأت بثها أوائل فبراير

بدأت الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون التركية الرسمية (TRT) بث قناة فضائية جديدة ناطقة باللغة العربية؛ ابتداء من الأحد 7 فبراير؛ بهدف التقارب مع العرب، بعد إطلاق قناة ناطقة باللغة الكردية العام الماضي.

وبحسب صحيفة "أكشام" التركية، فقد وجهت دعوة لرؤساء دول لحضور حفل افتتاح القناة الجديدة، مشيرة إلى أن القناة تنهي حاليا تصاريح العمل لعدد من الإعلاميين العرب للعمل في القناة، من دول مثل : مصر، وفلسطين، وتونس، وجزائر، والعراق.

وسيتم بث قناة (TRT-7) عبر الأقمار الصناعية؛ لتشمل منطقة الشرق الأوسط (المشرق العربي)، وشبه الجزيرة العربية.

المجتمع 1888 (6/2/2010)

أكبر برنامج في العصر الحديث للتجسس على المسلمين في بريطانيا

كشفت صحيفة الـ"غارديان" أن الحكومة البريطانية بدأت تستخدم برنامجا للتجسس على المسلمين "الأبرياء" وجمع معلومات عنهم تتعلق بالتوجهات السياسية والدينية والصحة العقلية والنشاطات الجنسية، وستحتفظ بهذه المعلومات إلى أن يبلغ أصحابها عمر المائة، وذلك بهدف منع الذين يعيشون في بريطانيا من التورط في "أعمال إرهابية".

ومن جانبها، وصفت "شامي تشاكرابارتي" (مديرة المركز الوطني للحريات المدنية "ليبرتي") برنامج التجسس هذا بأنه أكبر عملية تجسس في بريطانية في العصر الحديث، تمس الحريات المدنية، وهو يعتمد في الأساس على السلوك الديني.

الكوثر 123 (يناير 2010)

مجلة حراء في ذكرى وفاء للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله

وفاء منها لجهود الدكتور والعالم الراحل فريد الأنصاري، نظمت مجلة حراء، على هامش المعرض الدولي للكتاب ندوة فكرية ضمت ثلة من المفكرين والعلماء والطلبة وجمهوراً غفيراً من المهتمين ومحبي الدكتور فريد الأنصاري وكان موضوع الندوة قراءة في مضامين الرواية الأخيرة للراحل : «عودة الفرسان» وقد أبرز كل من الدكتور عبد الرحيم الرحموني، والدكتور عبد المجيد بنمسعود قيمة الرواية، من حيث المنهج والرؤية، والأبعاد والخصائص الأدبية وأهميتها في الربط والتواصل الحضاري الاسلامي بين المشرق والمغرب، والتناص الثقافي بين الثقافة الاسلامية التركية في شخص مدرسة النور عموما ومدرسة فتح الله كولن، والثقافة الاسلامية المغربية في شخص الدكتور فريد الأنصاري.

فهنيئا لمجلة حراء بنشاطها الثقافي الناجح، ومزيداً من التعاون الثقافي المثمر في نهضة الأمة وتقريب جسور التواصل بين المشرق والمغرب.

ألم قلم

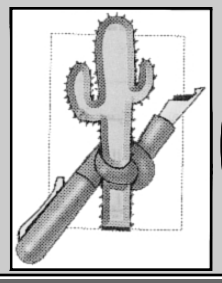

حفظ الله الأمازيغ

زرت أكثر من بلد في إفريقيا وآسيا -ولا أريد أن أقول أوربا لاختلاف الثقافات والعادات والتقاليد بيننا وبينهم، فما أنساني ولو بلدٌ واحد بعض ما في المغرب من نبل وأخلاق، وخاصة خلق "الكَرم".

وزارني أكثر من واحد من أكثر من بلد، فكاد أن ينْسَى كلّ ما في بلده بسبب خُلُق الكرم.

حينما ترِدُ غريبا/ضيفا على قرية من القرى أو بادية من البوادي، يبادرك أهلها بالترحيب وكرم الضيّافة، يقدمون لك أغلى ما عندهم، كل حسب طاقته وسعته وقدرته المادية. ويرى أنه قد نال بذلك فخراً وكرامةً وقدّم واجباً.

أيضا زرت أكثر من بلد في إفريقيا وآسيا، فما وجدت أكثر الناس حفظا للقرآن الكريم من المغاربة، يتلونه ورداً يوميا في المساجد بعد صلاتي الفجر والمغرب، ويتلونه تبركا في الولائم والمناسبات، والحافظ لكتاب الله (الفقيه) مُقدّم مُقدَّر عند الجميع.

هكذا كان آباؤنا وأجدادنا، وعلى آثارهم بقية من الخلف على آثار السلف سائرون، لا يضرهم مَنْ خَالفهم أو وقف في طريقهم إلى يوم القيامة.

لم أجد تعليلا لهذا التميز الديني والاجتماعي إلا بوجود الأمازيغ الأشاوس، فحَيث ما مررت بهم ابتداءً من سوس العالمة في الجنوب، مروراً بالأطلس العامرة في الوسط، وانتهاء بالريف العاملة في الشمال إلا ووجدت من يحيطك بكل أنواع الكرم، ولقد سبق أن كتبت في هذا العمود، ما حدثني به أحد الأصدقاء عن الكرم النادر الذي أتحفه به أحد الريفيين في إفطار رمضان.

وحين ما مررت بمناطق المغرب إلا ووجدت كتاب الله يُتلى، حتى ولو كنت على قمم جبال الأطلس أو الريف، أو هضاب سوس أو غيرها من المناطق.

وبفضل القرآن الكريم تنثال لغته على كل لسان، بل إن أمازيغ المغرب تميزوا عن العديد من الشعوب الإسلامية بالحفاظ على لغة القرآن والدفاع عنها، ودونوا نحوها بلغتهم حتى يتمكنوا منه عن قرب، فصار إتقانهم للسان العرب أسمى وأعلى من أن يجري على ألسنة العديد ممن يُحْسبون على العرب أو ينادون بالعروبة.

وأحسب أن كل المغاربة، وغَيْر المغاربة كذلك يذكرون أسماءً علت في سماء الوطنية والجهاد والدفاع عن دين الوطن وكرامته ولغته ورفع راية العلم والعرفان من أمثال اليوسي وعبد الكريم الخطابي والمختار السوسي.

ولن أنسى وأنا صبي صغير، حينما اصطحبت والدي رحمه الله تعالى لزيارة أحد الأقرباء العائدين من أداء فريضة الحج، لقد التقطت أذناي الصغيرتان حينذاك، لقطة واحدة فقط، حينما قال الحاج : «إني التقيت هناك ببعض الحجاج الآسيويين، وحين قلت لهم إني من المغرب، سألوني : هل مغرب عبد الكريم؟ فقلت لهم نعم».

وعجبت وأنا صبي حينذاك لماذا لا يعرف هؤلاء المغرب وهو رمز الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، ووارث حضارة عدْوة الأندلس، فلم أدر الجواب إلا بعد أن درست بعد ذلك بزمان في المرحلة الإعدادية تاريخ المقاومة بالمغرب، ورغم أن مادة التاريخ كانت آنذاك تدرس بالفرنسية، فإن المدرس مع ذلك حاول أن يقرب إلى أذهاننا ما قدّمه رُواد المقاومة المغربية من أمثال عبد الكريم الخطابي وموحا أوحمو الزياني وغيرهما نَذَرُوا أرواحهم فداء للدين ثم للوطن ولغته وحضارته.

د. عبد الرحيم بلحاج

التهييءُ الرباني للنبوّة الخاتمة قبْل البعْثة المُحمديّة

ذ. المفضل فلواتي

أخي عيسى، ورأت أمّي حين حَمَلتْ بي كانّ نوراً خرَجَ منها فاضاءتْ له قصورُ بُصْرى من أرض الشام»(ابن اسحاق وأحمد).

مقدمة ضرورية :

إنّ الكَلام عن ذكرى المولد النبويِّ في عصْر تبلَّد فيه الإحساسُ المحليُّ والعالمي، والفرديُّ والجماعيُّ، وأكثر من ذلك الإحْساسُ الدّعويّ، حيث أصْبح المُسْلم يشعُر -في أعظم ذكرى- كأنه يُنادَى من بعيد لشراء سلعته التي هي أحسن سلعة، ولكنه -مع الأسف- فرَّط فيها حتى كادَ ينساها، بلْ تطاول عليها الغرباءُ والمغرّبُون فزوَّرُوها وشوَّهُوها، وأصْبحُوا يعْرضونَها على أصحابها الأصليِّين، الذين يعرفون أنها سلعة مزورة، ومع ذلك يقْبلُونَها على أنها سعلة الله الغالية، وهي في الحقيقة سلعة البشر البالية.

إن الاحتفال بذكرى المولد النبوي هو احتفالٌ -في الحقيقة- بذكرى أعظم سلعة أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ المُحتَفَى به، وكلَّفه بعرضها على الناس، فكان أحْسن عارض لها، لأنه هو أيضا -صنعةُ الله- فهو الذي ربّاه وآواه فأخرجه صورة حيَّةً مطابقة للسلعة الربّانيّة المعروضة ﴿**أَلَمْ يجِدْكَ يَتِيماً فآوَى ووجَدَك ضَالاً فَهَدَى**﴾(الضحى : 7).

فكانتْ ثمرة الإيواء الرباني، وثمرة التربية الربانية إخراج محمد ﷺ في ذروة الكمال الإنسانيّ الذي لا كمال فوقه، لأن الله عز وجل جَمَع فيه أخلاق جميع الأنبياء والرسل السابقين، ثم قال له ﴿**أولئك الذين هَدَى اللّه فبِهُدَاهُم اقْتَدِهْ**﴾(الأنعام : 91).

● محمد ﷺ بالكمال الإنساني الذي اجتمع فيه ما تفرَّق في غيره من الأنبياء والرسل.

● ومحمد ﷺ بالوسام الربّاني الخالد : ﴿**وإنّك لعَلَى خُلُقٍ عظيم**﴾.

● ومحمد ﷺ الذي تُعْرفُ حياتُه الإنسانيّةُ من الميلاد إلى الممات لا يخْفَى منها شيء صغيراً كان أو كبيراً.

● ومحمد ﷺ الذي تُعْرف حياتُه الدّعوية من ﴿**اقْرأ باسمِ ربِّك**﴾ **إلى** ﴿**وأتْمَمْتُ عليكُم نِعْمتي ورَضِيتُ لكُمُ الإسْلامَ ديناً**﴾(المائدة : 4).

● ومحمد ﷺ الذي أرغم الدكتور «مايكل هارت» على أن يضَعَهُ على رأس قائمة المائة من الرجال العظام في التاريخ، وعلَّل ذلك التقديم بقوله «**ولكنَّهُ الرجُلُ الوحيدُ في التاريخ كله الذي نجَح أعْلى نجاحٍ على المُسْتَوَيَيْن : الديني والدُّنْيوي**».

إنه كلام عميق يدلُّ على التمزُّق الذي كان يرى عليه الإنسان الأوربيُّ والأمريكيُّ.

حيث إن الإنسان خلقَهُ الله جسداً وروحاً، ولكن الإنسان الغَربيَّ لم يستطع المواءَمة بين الر وح والجسد، أيْ بين الدِّين والدنيا، ففصَل الروح عن الجسد، وفصَل الدِّين عن الدّنيا.

ولم يستطع أيضاً المواءمة بين عَالَم الغيْب وعالَم الشهادة، فعاش في عالم الشهادة وأنْكَر عالم الغيب، أو تنكّر له ﴿**يعْلَمُون ظاهراً من الحَيَاةِ الدّنْيا وهُمْ عنِ الآخرة هُمْ غَافلُون**﴾(الروم : 6).

ذلك التمزُّقُ كان قديما، ولكن الإنسان الأوربيّ والأمريكيّ فصَلَ ذلك بصفة رسميّة، فجعل لحياة الدنيا مؤسسات وقوانين، ولحياة الروح -في نظرهم- مؤسسات خاصة، وقوانين خاصة، ومجالات خاصة.

وصُدِّر إلَيْنا هذا التمزُّق -مع الأسف- مع أننا عندنا فيما نزل على الرّجُل الأول في التاريخ الإنسانيِّ على حسب «مايكل هارت» : ﴿**وابْتَغِ فيما آتَاك اللّه الدّارَ الاخرة ولا تنْسَ نَصيبك من الدّنْيا وأحْسِنْ كما أحْسَن اللّه إلَيْك**﴾(القصص : 77).

● رجُلٌ كهذا

● ورسُولٌ كهذَا

● وكَمَالٌ كَهَذا

■ هَلْ يُحْتَفى بذكراه بالطُّبول والمزامير وجَرْح الرؤوس بالشّواقير؟!

■ وهلْ يُحتفى بذكراه بمجرّدِ الأمداح والأشعار والغناء والرّقص؟!

■ وهل يُحْتفى بذكْراه بالأناشيد والوقوفِ على الأقدام؟!

■ وهَل يُحْتَفَى بذكراه بمجرَّد الاجتماع بالمساجد وإحراق البُخُور؟!

فهل هذا يُعْتبَرُ احتفاءً حقيقيا يليق بمقَام المُحْتفَى به؟! وبرسالَة المحتفى به؟!

بعد ذلك نتساءل :

هل هناك دين أحسن من دين الإسلام؟

وهل هناك دعوة أحسن من الدعوة للإسلام؟

الله تعالى يقول : ﴿**ومَنْ أحْسَنُ ديناً ممَّنْ أسْلَمَ وجْهَهُ للّه وهُوَ مُحْسِنٌ واتّبَعَ ملّةَ إبْراهيم حَنيفاً**﴾(النساء : 124). ويقول : ﴿ومَنْ أحْسَنُ قَوْلاً ممَّنْ دَعَا إلى اللّه وعَملَ صالحاً وقال : إنَّني منَ المُسْلمِين﴾(فصلت : 32) أيْ دعَا إلَى اللّه وتحدَى بدينه وانتسابه إلى ربه.

● لأنّه خيرُ مَن يمشي على الأرض ﴿**إنّ الذين آمَنُوا وعَملُوا الصّالحَاتِ أولئك هُم خيْرُ البَرِيئة**﴾(البينة : 7).

● لأنه من عبد الله وأوليائه وكفاه بذلك شرفا ﴿**يَا عبادي لا خَوْفٌ عَلَيْكُم اليوْم ولا أنْتُمْ تحْزَنُون**﴾(الزخرف : 68).

● لأنه مرضيٌّ عنه ﴿**رَضيَ اللّه عنْهُم ورَضُوا عنْه**﴾(البينة : 8) ﴿**يا أيّتُها النّفْس المُطْمئنّة ارْجعي إلى ربِّك رَاضيةً مرْضيّةً فادْخُلي في عبَادِي وادْخُلي جنّتي**﴾ (الفجر : 32).

● لأنه مكفول له التيسير والرزق والخروج من كل المآزق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ﴿**ومن يتّقِ اللّه يجْعَل لهُ مخْرجاً ويرْزُقْه من حَيْثُ لا يحْتَسب**﴾(الطلاق : 2) ﴿**ومَنْ يتّقِ اللّه يجْعل لهُ منْ أمْرِه يُسْراً**﴾(الطلاق : 4).

● لأنّه منصور ﴿**إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والذين آمَنُوا في الحياةِ الدّنْيا ويوْم يقُومُ الأشْهادُ**﴾(غافر : 51).

● لأنه مكْفيٌّ كُلّ شُرُور الخُصُوم ﴿**إنّا كَفَيْناكَ المُسْتهْزئين**﴾(الحجر : 95) ﴿**ذَرْني ومَنْ يُكَذّبُ بهَذَا الحديث سنَسْتدْرجُهُم منْ حَيْثُ لا يعْلَمُون وأمْلي لهُم إنّ كَيْدِي مَتين**﴾(القلم : 44).

إن الاحتفال بذكرى المولد النبوي هو احتفالٌ -في الحقيقة- بذكرى أعظم سلعة أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ المُحتَفَى به، وكلَّفه بعرضها على الناس، فكان أحْسن عارض لها، لأنه هو أيضا -صنعةُ الله- فهو الذي ربّاه وآواه فأخرجه صورة حيَّةً مطابقة للسلعة الربّانيّة المعروضة ﴿أَلَمْ يجِدْكَ يَتِيماً فآوَى ووجَدَك ضَالاً فَهَدَى﴾(الضحى : 7).

فكانتْ ثمرة الإيواء الرباني، وثمرة التربية الربانية إخراج محمد ﷺ في ذروة الكمال الإنسانيّ الذي لا كمال فوقه، لأن الله عز وجل جَمَع فيه أخلاق جميع الأنبياء والرسل السابقين، ثم قال له ﴿أُولئك الذين هَدَى اللّه فبِهُدَاهُم اقْتَدِهْ﴾(الأنعام : 91)

الاصطفاءُ سُنَّةٌ ربّانيّة :

دين كالإسلام، ودعوة كالدعوة إلى الله تعالى!!

هلْ يُختارُ لمثْل هذا الدِّين مطلق البشر؟! من مطلَق المعادن؟!

ومن مطلق الأماكن؟! ومن مطلق الحمَلة والورَثة؟!

كَلاّ!!!

هذا الدِّينُ يحملُهُ المُصْطَفَوْن الأخيار ﴿**إنّ اللّه اصْطَفَى آدَمَ ونُوحا وآلَ ابْرَاهيم وآلَ عمْرانَ على العَالَمين ذُرِّيةً بعْضُهَا مِنْ بَعْض**﴾(آل عمران : 33).

ويحمله الورثة المُصْطَفَوْن ﴿**ثُمّ أوْرَثْنا الكتابَ الذينَ اصْطَفَيْنا من عِبَادِنا**﴾(فاطر : 32).

ولهذا قال ﷺ في نسبه : «**أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. إن الله خلق الخلق فجعلني في خيْرهم، ثم جعلَهم فِرْقَتَيْن فجعلني في خيْرهم فرقَةً، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجَعَلَني في خيرهم بيْتاً، وخيْرهم نفْساً**»(الترمذي).

وقال : «**إن الله اصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(مسلم).

وقال : «**إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيلَ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانةَ، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(ابن سعد وصححه الألباني).

وقال : «**خرجتُ من لَدُنْ آدم من نكاح غير سِفاح**»(مسلم).

اختيار الزمان :

وقال ﷺ : «**بُعثتُ من خيْر قرون بني آدَم قرناً فقَرْناً حتى كنتُ من القرْن الذي كنتُ فيه**»(البخاري). وقال ﷺ : «**إني عبدُ الله وخاتمُ النبيئين وإن آدَم لَمُجندلٌ في طِينَتِه، وأنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورأت أمِّي حين حَمَلتْ بي كانّ نوراً خرَجَ منها فاضاءتْ له قصورُ بُصْرى من أرض الشام**»(ابن اسحاق وأحمد).

اختيار البلد :

واختار الله تعالى له البَلَد الحرام الذي فيه المسجدُ الحرام ﴿**إنّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنّاس للذي ببَكّةَ مُباركاً وهُدًى للْعَالَمين فيه آياتٌ بيّناتٌ مَقَامُ إبْراهيم ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً**﴾(آل عمران : 97).

وهذا إشعارٌ من أوّل مرّة بأنه سيكون رحمةً للعالمين، لأنه وُلدَ بمكان المسجد الحرام الذي هو قِبلةُ العالمين، وهُدَى العالمين.

وإشعارٌ أيضاً بأن دينه سيكون أمنا لجميع الناس كالمكان الذي جعله الله أمْناً لجميع الناس.

اختيار عام المولد :

واختارَ الله له أن يكون عامُ مولْده عام انتصار لمقام البيت على الطاغية أبرهة، إكراماً لمقدَم رسُول الله ﷺ للمحافظة على المبْنَى المقرونة بقدوم المعْنَى.

فالشخص المؤهل للمحافظة على معنى البيت هو محمد ﷺ الذي اقترنتْ ولادتُه بهذا الحدث العظيم، إكراماً لقدومه، وإرهاصاً بقرب بزوغ رسالته.

ألَمْ ترَ إلى التشريف الكبير الذي ضمَّنَهُ الله تعالى قوله : ﴿**ألَمْ ترَ كَيفَ فَعَلَ ربُّك بأصحاب الفيل**﴾ كأن الله تعالى يقول له : ما فعل ربك معبودُك بالحق ما فعَل بأصحاب الفيل إلا من أجل قدومك لتكون رسالة للعالمين، ومؤتمناً على حفظ البيْت الذي هو هُدًى للعالمين.

واختار الله له أسماءَه :

فهو : «محمّد» أي لا ينقطع حمْده لا في الدنيا ولا في الأخرى، وما كان محمداً و محمودا إلاّ لأنه كان أحْمَدَ الحامدين، ولذلك كان اسمُه أحْمَد أيضا.

ونزلت عليه سورة الحمد التي ليست موجودة إلا في أمة الحمد، وسيكون يوم القيامة هو الحامل للواء الحمد.

وقد ورد الاسمان معا في القرآن الكريم ﴿**وما مُحمّدٌ إلاّ رسُولٌ قدْ خَلَتْ من قبْله الرُّسُل**﴾(آل عمران : 144) ﴿**ومُبَشّراً برَسُولٍ يَاتي منْ بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ**﴾الصف : 6).

واختار الله تعالى له أمته :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : «**إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ فبعثَهُ برسالته، وانتخَبه بعلمه.**

ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار الله له أصحابا فجعلهم أنصار دينه، ووزراءَ نبيّه، فما رآه المؤمنون حسنا فهو حسن، وما راه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح»(الحلية لأبي نعيم وغيره).

وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿**وكَذَلك**

جعَلْناكُمْ أمّةً وسَطاً لتَكُونُوا شُهَداء على النّاسِ ويكُونَ الرّسُولُ عليْكُم شَهِيداً﴾(البقرة : 142) ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أمّة أخْرِجَتْ للنّاسِ تامُرُون بالمعرُوفِ وتنْهَوْن عن المُنْكرِ وتُومِنُون باللّه**﴾(آل عمران : 110) ﴿**محمدٌ رسولُ اللّه والذين معَهُ أشدّاءُ على الكفّارِ رُحَماءُ بيْنَهُم**﴾(الفتح : 29) ﴿**فأنْزَلَ اللّه سَكِينَتَهُ على رسُوله وعلَى المُومنِين وألْزَمَهُم كَلِمَةَ التّقْوَى وكانُوا أحقّ بِها وأهْلَهَا**﴾(الفتح : 26).

وهذه شهادة استحقاق لهذه الأمة نزلتْ من عند الله تعالى لتكون شرفاً لهم تبيّضُ وجوههم في الدنيا بالأعمال الصالحة، والدعوة الصادقة المخلصة المنقذة للإنسان من وهْدة الظلم والضلال والزيغان، وتبيض وجوههم في الآخرة بالفوز المبين، والرضا الكريم من عند الله الحليم.

ومن المميزات الكبرى لمحمد ﷺ :

أ- أن الله تعالى أعْلَنَ عنْهُ وعرَّفَ بِه وبِأُمَّته :

● أخْرج الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال : «**أجَلْ إنه والله لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحِرْزاً للأميِّين -حِضْناً وذُخْراً لهم- أنت عَبْدي ورسولي، سمَيتُك المتوكِّل، لا فظٌّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق، ولا يدْفعُ السيئةَ بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولَنْ يقبضه الله حتى يُقيم به الملّة العوْجاءَ، بأن يقولوا «لا إله إلاّ الله» يفتح به أعْيُناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً**». وذكر ابن كثير في البداية :أن الله أوحى إلى داوود في الزبور :

«**يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقا سيدا، لا أغْضَبُ عليه أبداً، ولا يُغضِبُني أبدا، وقد غَفَرْتُ له -قبل أن يعْصِيَني- ما تقدم من ذنبه وما تاخر، وأمَّتُهُ مَرحومة، أعطيتُهم من النوافل ما أعطيتُ الأنبياء، وفرضْتُ عليهم الفرائضَ التي افترضتُ على الأنبياء والرُّسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورُهم مثلُ نور الأنبياء، يا داود، إني فضّلْتُ محمدا وأمته على الأُمم كُلها**».

وأخرج أبو نعيم في الحِلْية في صفة محمد وأمته :

قال : **أجِدُهُم في كتاب الله تعالى : «إنَّ أحمدَ وأمَّتَه حَمَّادون، يحمدون الله تعالى على كل خير وشر، ويكبِّرون الله على كل شَرَف، ويسبِّحون الله في كل منزل، نداؤهم في جَوِّ السماء، لهم دَوِيٌّ في صلاتهم كدويِّ النحل على الصُّخُر، يُصَفُّون في الصلاة كصفوف الملائكة، ويُصفُّون في القتال كصفوفهم في الصلاة، إذا غَزَوْا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم، وإذا حضروا الصُّفَّ في سبيل الله كان الله عليهم مظلاً، كما تظلُّ النسور على أوكارها**».

وهذا كقول الله تعالى : ﴿**سَأُلْقي في قُلُوب الذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾(الأنفال : 12) وقول الله تعالى : ﴿**وقَذَفَ في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ**﴾(الأحزاب : 26)

ب- المزية الثانية : إلزامُ الأنبياء بالإيمان بمحمد ﷺ وبنُصرته :

أخذ الله عز وجل الميثاق على جميع الأنبياء بالإيمان بمحمد ﷺ. وأمرهم بأن يأخذوا الميثاق على أممهم بأن يومنوا بمحمد عندما يُبْعَث ﴿**وإذْ أخَذَ اللّهُ ميثَاقَ النّبيئين لَمَا آتيناكم منْ كتَاب وحكمَة ثُمّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لتُومِنُنّ به ولَتَنْصُرُنّهُ. قال : أقْرَرْتُمْ وأخَذتُم على ذلكُم إصْري؟! قالوا : أقْرَرْنا. قال : فاشْهَدُوا وأنَا مَعَكُم منَ الشّاهدينَ فمن تَولّى بعْد ذلك فَأُولَئكَ هُمُ الفاسقون**﴾(آل عمران : 81-82).

روى الإمام أحمد بسنده قال : جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال : «**يا رسول الله إنّي أمَرْتُ باخٍ لي يهوديٍّ من قريظة، فكتب لي جوامعَ من التوراة، ألا أعْرِضُها عليك؟! فتَغَيَّر وجهُ رسول الله ﷺ**، فقال عمر : رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا، فَسُرِّ عن النبي ﷺ وقال : «**والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتَّبَعْتُمُوهُ وتركتُموني لضَلَلْتُمْ، إنكم حَظّي من الأُمَم، وأنا حَظُّكُم من النبيئين**».

قال ابن كثير : "فالرسول محمد هو الإمام الأعْظَمُ الذي لو وُجدَ في أيِّ عصر وُجدَ لكان هو الواجبَ الطاعة، المقدَّمَ على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر، في إتْيان الرب جل جلاله للفصل والقضاء بين عباده، وهو المقامُ المحمود الذي لا يليق إلا لَهُ، والذي يحيدُ عنه أولو العَزْم من الأنبياء والمرسلين، حتى تَنْتَهي النَّوْبَةُ إليه، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه" (تفسير ابن كثير : 464/1)

بعض الأتباع الذين وفَّوا بالعهد وبشروا بمحمد ﷺ

أخبرنا الله تعالى عن واحد من أنبياء بني إسرائيل الذين وفوا بهذا الميثاق، كما وفَّى جميع الأنبياء بدون شك، وهو عيسى بن مريم عليه السلام ﴿**وإذْ قَالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَني إسْرائيلَ إنّي رَسُولُ اللّه إلَيْكُم مُصَدِّقاً لِمَا بيْنَ يديّ من التّوراة ومُبَشِّراً برَسُول ياتي من بَعْديَ اسْمُهُ أحْمَدُ**﴾(الصف : 6)

● **ومن النصارى :**

أ- بَحيرى الراهب : الذي أخذ بيد النبي ﷺ -أثناء رحلته مع عمه أبي طالب وهو ابن اثْنَتَي عشرة سنة- وقال :هذا "سيد العالمين، هذا رسولُ رب العالمين يَبْعَثُه الله رحمةً للعالمين"(الروض الأنف 206/1)

ب- النجاشي : عندما استمع إلى ما يقوله القرآن العظيم في عيسى عليه السلام وأمه البتول الطاهرة، قال كلمته المشهورة : «مَاعَدَا عيسى ابنُ مَرْيَمَ ما قُلْتَ هذا العُودَ" وقال : "إن هَذا والذي جاء به عيسى ليخرُجُ من مِشْكَاةٍ واحدَةٍ»(ابن اسحاق).

ح- سلمان الفارسي رضي الله عنه : قال له راهبُ عمُّورية : والله ما أعْلَمُ اليومَ أحَدٌ على مِثل ما كنا عليه، ولكنه قد أظل زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب... به علامات لا تخفى : يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعتَ أن تلتحق بتلك البلاد فافعل»(الإمام أحمد، وابن إسحاق)

د- ورقة بن نوفل : قال : عندما أخره النبي ﷺ بخبر ما رأى في غار حراء - "هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، ياليتَني فيها جَذَعاً..."

● **ومن اليهود :**

أ- عبد الله بن سلام. قال لليهود : "يا معشر يهود اتقوا الله واقبلو ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته".

ب- مُخَيرق النضري من بني النضير : قال فيه رسول الله ﷺ : «**مخيرق سابق يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة**».

قال مخيرق لليهود عندما خرج رسول الله ﷺ إلى أحُد : «ألا تنصرون محمدا؟ والله إنكم لتعلمون أن نصرته حق عليكم، فقالوا : اليوم يومُ سبت، فقال : لا سَبْت لكم، وأخَذَ سيفه ومضى، فلمّا أثبتَتْه الجراحةُ، قال : «أموالي لمحمد يضعها حيث شاء» فمات شهيداً.

التهيئة الربانية بعد الميلاد :

إذا كان الله عز وجل هو الذي يتولَّى بنفسه تربية الأنبياء والرسُل ليكونوا قُدوةً وحجّةً لهُ على الناس، سواء كان لهُم أبٌ كيوسف عليه السلام، أولَمْ يكن لهُمْ أبٌ كمحمد ﷺ الذي قال فيه تعالى : ﴿**ألَمْ يجدْك يتيماً فآوَى**﴾(الضحى : 6) فإن التعبير القرْآنيّ يوحي بأن محمداً ﷺ كان مُقدّراً له في الأزل أن يكون يتيماً ليتَولّى الله تعالى تربيتَه وإيواءَه وتصنيعَهُ ليكون وُجودُه إنساناً كاملاً هو في حدِّ ذاته معجزةٌ ربّانيّةٌ دالةٌ على النبوة والرسالة، كما كان موسى عليه السلام معجزة دالة على صُنْع الله تعالى بالرغم من أنه تربَّى في دار عدُوّه فِرْعون.

إلاّ أن اليُتْم بالنسبة لمحمد ﷺ كان من علاماته الكبرى الدّالة على ختْم الرسالات به كأمِّيَّته، وكوجود الخاتَم بيْن كتفيْه ليكون معْروفا بصفاته وعلاماته لدَى أتْباع الرسُل السابقين، وبذلك ينقطع عُذْرُهُم أمام ربهم، وأمامَ رسُلهم، وأمام أنفسهم، وأمام كُلِّ الناس الذين بعَث الله الرسل لإقامة الحجّة عليهم، ولذلك قال الله تعالى في أتباع الكُتب السابقة ﴿**الذينَ آتَيْناهُمُ الكتابَ يعْرِفُونهُ كما يعْرِفُونَ أبْنَاءَهُم وإنّ فَرِيقاً منْهُمْ ليكْتُمُون الحقّ وهمْ يعْلمُون الحقّ من ربِّك فلاَ تَكُونَنّ من المُمْتَرين**﴾(البقرة : 146).

أمّا كيف آواهُ الله تعالى وهيَّأه تهييئا كاملا ليكون مؤهّلاً لحمْل الرسالة الخاتمة؟!

فإننا نستطيع أن نقول -باختصار- إن الله تعالى صنعه على عيْنه، وتولاّه بالرعاية والعناية في مُخْتَلف أطوار حياته إلى أن بلغ سنّ الأربعين رجُلاً كاملاً أميناً لا يستطيع أحَدٌ أن يجدَ مطْعَناً في أي ناحية من نواحيه الخلقية العالية.

فشمل الإيواء :

■ تهييء ثلاث مُرضاعات له : أمُّه آمنة، وثويبة جارية أبي لهب، وحليمة السعدية التي رأت من البركات على يديْه مالا يستطيع توفيره إلا الله تعالى.

■ أخرجه للبادية ليشب قويا، فصيحاً، متعوداً على الخشونة، متواضعاً.

■ شق صدْرَه لتطهيره من كل أمراض القلوب.

■ جعله يرْعَى الغنم ليتعلم كيف يرعي البشر.

■ حفظه من كل أقذار الجاهلية فما مَسّ صنما، ولا أكل لحما مدبوحاً على صنم.

■ شارك في بناء الكعبة، وحلَّ مشكلة وضع الحجر الأسود في مكانه.

■ علّمه الله تعالى التجارة كما علّمه الرّعْيَ.

■ شهد إبرام حلْف الفُضول وتمنّى لو دعي به في الإسلام لأجاب، كما شهد قبله حرْب الفجار، ليُطلعَه الله على مكارم الجاهلية وقبائحها ليَصلح الأوضاع عن علم ودراية.

■ وزوجه بخديجة رضي الله عنها لتغمره بمودة الزوجة وجنان الأم.

بعض المستفادات :

1) لا أمَلَ في دعوة ناجحة بدون تكوين الدّعاة الناجحين، فالتكوين سنة ربانية، وسنة نبوية.

2) ولا أمَل في تكوين الدّعاة الناجحين إلا بحُسْن الاصطفاء لهم، لأن الدِّين لجميع الناس، أما الدّعوة فهي مهمّة خير الناس.

3) ولا أمَل في إثمار التكوين إلا بطول المدة، وتنوُّع التّثقيف والتدريب، وحُسْن الإشراف على ﴿قم الليل﴾ و﴿قم فأنذر﴾ ﴿ورتل القرآن﴾ و﴿فاستقم كما أمرت﴾ و﴿بشِّرْ﴾ و﴿قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ و﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ و﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ و﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾.

فالله تعالى كوّن الرسول في أربعين سنة، والرسول بنى الأمة في ثلاث وعشرين سنة لأن التكوين الجيد يضمن :

أ- إحْسان العرْض لأحْسَن سلعة :

ولحُسْن عرْض الرسُول ﷺ للدعوة على القبائل نجد أن بيصرة بن فراس، قال : «لوْ أخَذْتُ هذا الشابّ لأكَلتُ به العَرب» ثم عرَض عليه أن يكون لهُ الأمْرُ من بعْده، إن قام بنُصرته فقال ﷺ : «**الأمْرُ للّه يَضَعُه حيث يشاء. والأمثلة من حُسْن لَلعرض كثيرة جداً، ولوْلا حُسْنُ العَرْض ما أقام أحسن أمة في أقصر مُدّة**.

ب- يضْمَنُ حُلول المشاكل : فقد كان ﷺ يحلُّ المشاكل بسرعة، فعندما كادت قريش تتقاتل على وضع الحجر الأسود عُرض الأمْرُ على رسول الله ﷺ فحَلَّ المشكل حلاً رضي به الجميع.

حـ- يضمن وُجودَ الناظرين بنور الله ﴿يا أيُّها الذين آمنُوا إن تتّقُوا اللّه يجْعَل لكُم فُرْقاناً﴾(الأنفال : 29).

د- ويضمن أيضا وجود المُحْسنين لقراءة المستقبل قراءة إيمانية : فقد بشر رسول الله المسلمين في غزوة الخندق بفتح الفرس واليمن والشام وهم في قمّة الخوف والجوع.

4) حُبُّ الرسول ﷺ دين لا يكفي أن يكون له يوم واحد في السنة للاحتفاء به :

قال الله تعالى : ﴿**قُلْ إن كان آبَاؤُكُمْ وأبْناؤُكُم وإخْوانُكُم وأزْواجُكُمْ وعَشيرتُكم وأمْوالٌ اقْترفْتُمُوها وتجارَةٌ تخْشَوْن كسَادَها ومساكن ترْضَوْنها أحبَّ إلَيْكُم من اللّه ورسُوله وجهادٍ في سَبيله فتربَّصُوا حتّى ياتيَ اللّه بأمْرِه واللّه لا يَهْدي القَوْم الفاسقين**﴾(التوبة : 24).

فَقَد هدَّد الله تعالى كُلّ مَنْ أحبَّ شَيْئاً أكْثَر من حُبِّ الله والرسول بالأمْر المكْروه، وعدّه من القوم الفاسقين.

وقال تعالى أيضا ﴿**قلْ إن كُنْتم تحبُّون اللّه فاتّبعُوني يُحْبِبْكُم اللّه ويَغْفرْ لكُمْ ذُنُوبَكُم واللّه غَفُورٌ رحيم قُلْ اطيعُوا الله والرّسُول فإن تولّوْا فإنّ الله لا يُحبُّ الكافرين**﴾(آل عمران : 32).

فَقد جعل الله تعالى حبَّهُ مرْهونا باتباع الرسول ﷺ وطاعته، فإذا نكل المسلمون عن حبِّ الرسول وطاعته عُدُّوا من الكافرين الذين يبغضهم الله تعالى.

إذا كان حُبُّ الرسول بهذه المنزلة فهل ينبغي أن يغيبَ عن قلوبنا وعقولنا وأذهاننا وأفكارنا في كُلِّ وقت من الأوقات؟! وهل يصحّ لنا دين إذا كُنّا نجهَلُ حقَّ الرسول ﷺ، ونجهل حياتَه، ونجهل دعوته، ونجهل تربيته لا صحابه وأمته؟!

نسأل الله تعالى أن ينوِّر بصائرنا ويغرس في أرواحنا وقلوبنا حبّاً لله والرسول في كل حركة من حركات حياتنا حتى نلقى ربنا وهو راضٍ عنا، فيُنيلنا شفاعته وشربة من حوضه آمين.

هذا الملف

ليس هناك أفظع ولا أخطر من الزلزال الذي يمزق الأرض من تحت الأقدام إلا عار المرأة حين يشتت شمل الأسرة وهذا ما يفرح إبليس اللعين كما يفرح لصوص الفضيلة وقتلة المروءة، فلو كان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان منصة يخطب عليها فاضحاً ومُشهِّراً بسقوط المرأة في مستنقع الانحلال ويا لهول السقطة! ويا لهول الفاجعة! فالمرأة بسقوطها يسقط الأبوان والأبناء والأقارب، وتسير بأخبارهم الركبان، ذلكم أن المشاكل الأسرية عامة يستعان عليها بالسر والكتمان إلا ما كان من فضائح النساء فيعلم بها الحاضر والباد وفي عصرنا تعبر الحدود عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية والأرضية.

نعم يا سادتي : هكذا أريد بالمرأة أن تسقط. وليس الأمر مصادفة ولكنه أمر مبيت، والشاهد عندي ما قاله جان بول سارتر أحد البارزين في الغرب : «كنا نُحضِر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء من إفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا، وباريس.. فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو، ويتعلمون لغتنا، وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم -أحيانا- زيجات أوربية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوربا، ثم نرسلهم إلى بلادهم وأي بلاد؟! بلاد من كانت أبوابهم مغلقة دائماً في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة لهم رجساً ونجساً، ولكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم كنا نصيح من أمستردام، أو باريس، أو برلين : (الإخاء البشري)، فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي إفريقيا، أو الشرق الأوسط، أو شمالي إفريقيا، كنا نقول : ليحل المذهب الإنساني - أو دين الإنسانية- محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم، وحين نصمت يصمتون، إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم»(1).

هكذا رجع مفكرونا بعد خضوعهم لعمليات (غسل الدماغ) إن لم نقل تلطيخه بالأوساخ والقاذورات إلى أوطانهم فقاموا بدورهم خير قيام، ونفذوا التعاليم بكلمات وضعت في أفواههم واتهموا الإسلام بظلم المرأة وكانوا من دعاة التخلي عن الدين ونبذه كإجراء عملي لحصول المرأة على حقوقها.

وكانوا من دعاة خروج المرأة من البيت ومزاحمتها للرجال وسموا ذلك "تحريراً للمرأة"، مركزين على أهم قضية في هذه الحركة ألا وهي قضية حقوق المرأة التي أدت إلى الطعن في الشريعة الإسلامية العادلة، وإلى تعميم الانحلال والإباحية في الأوساط الإسلامية، حتى سرى هذا السم في جسد الأسرة المسلمة الطاهر، وليخلصوا إلى الأبناء يجهلونهم بدينهم ويربوهم بالطريقة التي يريدون.

لقد نجح الغرب في خطته نحو تدمير الأسرة عندما ركب ظهراً ناعماً وعقلاً تنطلي عليه الحيلة يتمثل في المرأة التي اتهمت دينها بالحيف والظلم وصدقت دعاوى الأعداء، وهي المعززة المكرمة أماً وأختاً وزوجة في ظل الدين الإسلامي المحرر لها فأصبحت ترى الرجل عدوها وأعانت على عقد المحاكمات لشريك الحياة ولمن جعل الله بينها وبينه مودة ورحمة. ولمن هو إما أب أو أخ أو زوج. فكان الهدف الأسرة، وكانت الأداة هي المرأة والخاسر اللحمة والرحم والاجتماع وجو الأسرة.

وحتى لا نسب الظلام أردنا أن نوقد شمعة في اليوم العالمي للمرأة، ولأن ديننا هو أكمل دين أتم الله به علينا النعمة وأجاب فيه لنا عن كل الأسئلة المحيرة ووضع لنا الحلول لكل المشاكل والأزمات ولأننا في شريعتنا لا يمكن أن نكون عالة على الغير كان هذا الملف الذي نرجو أن يسهم في التخفيف من آثار ذلك الزلزال المحطم للأركان.

فحاولت مقالاته تشخيص الداء، ووصف الدواء، كما هو الأمر في مقال "المرأة المعاصرة بين التحرر المشهود والتحرر المنشود" في حين أبرز المقال الثاني "دور الأم في صلاح المجتمع" إن هي تشبتت بدينها وأخلاقها الإسلامية، ونبه المقال الثالث على "المفهوم الشرعي للأسرة" ولوازمه، وسار المقال الرابع في اتجاه بيان الطريقة والكيفية ا لتي يبني بها الإسلام الأسرة الصالحة ويحافظ على طهارة ا لمجتمع وهو المقال المعنون بـ"كيف يبني الاسلام أسرة صالحة" أما مقال "المؤسسة التربوية الأولى وضرورة إعادة الاعتبار" فيوجه الأنظار إلى ضرورة إيلاء مؤسسة الأسرة عناية خاصة لأنها هي المؤسسة التربوية الأولى التي إن صلحت صلح المجمع كله وإن فسدت فسد المجتمع كله.

1- العلمانية ا لنشاة والأثر/زكريا فايد ص .10.

عبد الحميد الرازي

"المؤسسة التربوية الأولى" وضرورة إعادة الاعتبار

د. محمد عادیلي

تقديم

لا شك أن المقصد النهائي للتربية هو تخريج الإنسان وفق المواصفات التي تحددها منظومة المعتقدات والثوابت التي يعتقدها ويعتنقها المجتمع. بحيث يكون ذلك الإنسان الذي تخرجه تلك التربية منسجما مع تلك المعتقدات والثوابت، في تفكيره وتدبيره وتعبيره. ولذلك لا يمكن لتربية انبثقت ونشأت بناء على معتقدات وثوابت خاصة ببيئة ومجتمع معين أن تخرج إنسانا صالحا لبيئة ومجتمع آخر.

وإذا نظرنا إلى واقع التربية في مجتمعنا اليوم، نجد ثلاثة فاعلين أساسا، ثم يتفرع عن كل منها فروع. هؤلاء الفاعلون الثلاثة هم، الأسرة والمدرسة والشارع. وعندما نقول الأسرة نقصد الأسرة النواة التي هي الأب والأم والأبناء، ونقصد كذلك امتداداتها نسبا وصهرا. وعندما نقول المدرسة نقصد جميع مستويات التمدرس من التمهيدي وحتى أعلى مستويات الجامعي، إضافة إلى ما يحيط بالمدرسة من مؤسسات وأنشطة موازية. وعندما نقول الشارع، نقصد جميع المؤثرات المؤسسة وغير المؤسسة الخارجة عن الأسرة والمدرسة.

غير أن قوة التأثير في التربية تختلف من فاعل لآخر. ويعتبر الشارع أقوى تأثيرا، لأنه يشتمل على وسائل متعددة وكثيرة الحضور في حياة الإنسان، ثم تأتي المدرسة، التي يقضي فيها الإنسان نسبة كبيرة من حياته، في المرتبة الثانية. وفي الأخير نجد الأسرة نظرا لضمور دورها وانسحابها أمام اقتحام الشارع لأسوارها.

أسس التربية في الإسلام

لن نتناول هذا العنوان بتفصيل لأن المجال لا يتسع لذلك، ولكن سنتعرض فقط لتلك المعتقدات والثوابت التي تحدد المطلوب من التربية في الإسلام.

إن أساس الدين (والدين عند الله هو الإسلام) هو "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ولذلك كان الهدف الأساس في التربية الإسلامية هو عبادة الله وحده واتباع رسوله ﷺ، ثم يلي ذلك كل ما جاء في حديث جبريل حين جلس إلى النبي ﷺ وقال : «يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال له : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال : صدقت، قال : أخبرني عن الإيمان، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال : صدقت، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وحين انصرف جبريل عليه السلام، أخبرنا رسول الله ﷺ، قائلا : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(رواه مسلم).

إن الأصل في الإنسان هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالتربية تصون هذه الفطرة عن الانحراف والزيغ، قال رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"

ومن جهة أخرى فالأصل في الإنسان عنصران؛ عنصر الطين وعنصر الروح، يقول الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. فعلى التربية الاستجابة لما يحيى به العنصران معا، مع اعتبار أهمية كل واحد منهما، وأن حياة الطين زمنها قليل جدا، وإنما هي وسيلة لحياة الروح التي هي الحياة الحقيقية والدائمة والممتدة إلى الآخرة.

والتطبيقات العملية لنظرية التربية في الإسلام تتجلى في سيرة النبي ﷺ، يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

التربية المدرسية في مجتمعاتنا بين الأمس واليوم

كانت المدرسة في مجتمع المسلمين لا تنفك عن المسجد، فكان العلم والتربية يقومان في كنف المسجد، وكانت حلقات العلم إلى جانب حلقات الذكر. وما تزال معالم من ذلك الزمن شامخة في حياة المسلمين، وعلى رأسها جامع الأزهر في مصر، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في المغرب. وكان يقوم على التربية علماء فقهاء تشبعوا بمقاصد الشريعة الإسلامية وأصول أحكامها، وخبروا سيَر القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية. وكانت بذلك أصول التربية منسجمة مع صفة الإسلام عند مجتمع المسلمين.

وقد استمر الحال على هذا، مع ما شابَهُ أحيانا من الجمود والتقليد والتقصير، لكنه مع ذلك كان على صلة تامة مع الأصول الحقة للدين. ولما جاء الاستخراب العالمي لأقطار الأمة الإسلامية، خرب الديار وسلب الخيرات، وغير العُرف، وأسقط الثوابت في قلوب عدد من أبناء الأمة، ووضع مقاييسه مكان مقاييس الدين، ولبَّس الأمور على الناس حتى لم يعودوا يميزون المعروف من المنكر.

وظهر ما سمي بالمدرسة العصرية، التي أنشأها المستخرب وفق ثوابت الغرب وفلسفاته التربوية التي قامت على أسس منافية لثوابتنا ومناقضة لها. ففلسفة التربية في الغرب تقوم على أن الحقيقة تقتصر على العالم المحسوس، ولا تعترف بالدين مطلقا، وإن اعترفت به فعلى أساس القاعدة التي تقول "ما لله لله وما لقيصر لقيصر"، فالدين هو شيء خاص بالفرد ويتعلق به وحده، ولا علاقة له بغايات وأهداف المجتمع، لذلك فالتربية لا دخل لها بالدين، ولا دخل للدين بها. كما ترتكز فلسفة التربية الغربية على نظرية التطور والتكيف الاجتماعي، فهي تطلق للإنسان العنان للذهاب بمكتسباته ومهاراته التي يكتسبها إلى حيث تسير به، دون حدود أو ثوابت علمية يرعوي لها. ومن جهة أخرى فلسفة التربية الغربية تجعل الإنسان سيد الكون وأنه يستطيع أن يشرع ما يشاء، وفق ما يراه هو مناسبا.

وقد أرسى المحتل، قبل خروجه، أسس التربية في المدرسة العصرية بشكل يجعلها دائما في تبعية مباشرة أو غير مباشرة لما يقرره هو في مدارسه. وبعد خروج المحتل بقيت فلسفته ومبادئه تحكم التربية في مدارسنا التي أضحى أغلبها الساحق على النمط العصري. ولم تستطع أمتنا، بعدُ، أن تنتج العقول والقلوب المتشبعة بأصول الأمة المسلمة وثوابتها وتراثها العلمي والتربوي، بالعدد والشكل الذي يكفي لصياغة وفرض صورة إسلامية حقيقية للتربية في مدارسنا. إلا أن كون الأمة ما تزال مفعمة بما تركته عصور التربية الإسلامية من تشبث بالدين، والقيم الإسلامية، تجد منظرينا يحاولون تكييف تلك الفلسفات التربوية، التي ورَّثها المحتل، مع القيم الإسلامية. غير أن القصب وإن دهنته بلون الحديد يبقى قصبا ولا يعود حديدا أبدا. فأصبحت لدينا نظريات تربوية هجينة، لا هي غربية ولا هي إسلامية، فتنتج إنسانا مشوها علميا وخُلقيا، تجده حائرا بين ثوابت الإسلام ومتاهات الهوى.

وخلاصة القول هنا فإن المدرسة وإن كان مازال فيها قبس من التربية الإسلامية فهي غير قادرة على تخريج إنسان ذي شخصية إسلامية في تعبيرها إسلامية في تفكيرها إسلامية في تدبيرها. وإعادة أسس التربية، في المدرسة في المجتمعات الإسلامية، إلى أصلها ممكن لكنه صعب

15 ربيع الأول 1431هـ - 02 مارس 2010 م- العدد :335

ويلزمه وقت طويل ومجهود جبار. لذلك فهو مطلب، ولكن لم يحن وقته بعد.

دور الشارع في التربية بين الأمس واليوم

كان الشارع في البلد المسلم، قبل مصيبة الاحتلال، بسيطا جدا؛ إنما هو مجموع أهل الحي الذين تتكون منهم تلك الأسر المفعمة بالمبادئ الدينية، وإن انحرف بعضها واستحال بعض آخر في قصده من العبادة إلى العادة. ولا تجد في الشارع مكونات أخرى إلا في النادر الشديد الندرة. وكانت السلطة التي تحكم هذا الشارع وتنظمه هي سلطة العالم قبل سلطة الأمير. فكان الشارع بذلك يدعم ما تبنيه الأسرة والمسجد، وكانت العناصر المتدخلة في عملية التربية منسجمة يقودها المسجد. وإن عملا يقوده المسجد لا يمكن إلا أن يكون في اتجاه مقاصد الإسلام.

أما إذا نظرنا إلى الشارع اليوم، نجده قد تعقد بشكل مخيف جدا. فقد تعددت مكوناته ووسائل تأثيره في الإنسان، واختلط فيه القبيح بالحسن. وامتدت أذرعه لتقتحم حرمة المدرسة والأسرة. ومن أهم وسائل هذا الشارع الإعلام بشتى أنواعه ووسائله، من الوصلات الإشهارية المكتوبة على علبة داخل زجاج محل تجاري حتى القنوات السمعية البصرية ذات الإرسال المستمر. ومن جهة أخرى انفتح الشارع على مصراعيه، ليشارك في صناعة مادته كل من يمتلك الوسائل لذلك، سواء أكان داخل البلد أو خارجه.. إنتاجا وطنيا أو أجنبيا. فخرج عن السيطرة، ولم تعد تتحكم فيه نظمنا الأخلاقية ولا قيمنا ولا تقاليدنا، وإنما أصبحت تتحكم فيه القوى التي تمتلك قوة إبلاغ العبارة بالكلمة المسموعة والمكتوبة وأبلغ من ذلك الصورة المتحركة.

بهذه الصيغة أصبح الشارع يصنع إنسانا عالميا، ليس بالمعنى الإسلامي للكلمة ولكن بالمعنى المائع، الهلامي. أصبح الشارع يخَرِّجُ إنسانا ليست له مبادئ إلا تلك التي تريدها الشركات التجارية العالمية، التي تسيطر على الإعلام العالمي وتسخره في اتجاه خدمة مصالحها الاقتصادية. مبادئ خلاصتها الأنانية المطلقة وحب الاستهلاك إلى درجة النهم والشراهة.

بناء على هذه المعطيات، يكون من الخطأ التعويل على الشارع في الأوان الحاضر ليساهم في إعادة التربية إلى أصلها الإسلامي.

فماذا بقي لنا؟.. لم يبق إلا ذلك الفاعل الثالث، على ضعفه، لأنه الوحيد الذي لازال لدينا بعض التحكم فيه.. إنه الأسرة.

كيف نعود بالأسرة إلى وصف "المؤسسة التربوية الأولى"؟

إذا نظرنا إلى الأسرة في البلاد الإسلامية اليوم، نجد أن دورها قد انحسر، وانحرف فهم التربية عند الآباء ليقتصر على توفير الجوانب المادية وتعليم العلوم المرتبطة بالمادة.. بالطين. وألقى الأبوان مهمة التربية على المدرسة ومراكز التنشيط ونوادي الرياضة، وانسلخوا منها حتى أضحى معنى الأبوة والأمومة صوريا. لكن.. إذا أمعنا النظر وبحثنا في دقائق التفاصيل، سنجد في أعماق كل من الأب والأم، على الغالب، ذلك الحنين إلى تلك التربية الإسلامية الأصيلة التي عرفوها وشاهدوها، وعهدهم بها قريب، لم تندثر بعد آثارها من سويداء قلوبهم.

رغم فقدان الأسرة في بلداننا، عددا من مميزاتها وعناصر قوتها، فما تزال تحتفظ بصفة الحصن الحصين الذي استعصى عن الاختراق، الاختراق بمعناه الذي وصلت إليه أغلب مؤسساتنا. مازالت أغلب الأسر في البلدان الإسلامية تحتفظ بتلك التقاليد والعادات والثوابت الأخلاقية التي كان أصلها الإسلام، وإن كانت قد انحرفت بقدر ما، أو داخلها دخن الثقافة الغربية، واقتحمت أذرع الأخطبوط الإعلامي العالمي حرمها الذي هو المنزل. برغم ذلك كله فهي الفاعل الذي مازال يحتفظ بمقومات تجعلنا، نعول عليه، قبل غيره، بعد الله عز وجل للعودة بالتربية إلى أصلها، الذي تخرج به الإنسان المسلم تعبيرا وتفكيرا وتدبيرا.

ولتحقيق هذه العودة، يجب أن تتخذ الأسرة إجراءات أهمها:

- على الأبوين أن يستشعرا المسؤولية التربوية الكبيرة الملقاة على عاتقهما. وأن يقتنعا بأن التربية لا تقتصر على توفير الأكل والشرب واللبس والسكن والتعليم، وإنما هي عملية تستهدف جوانب الإنسان المتعددة، فهذه الأمور التي ذكرت لا تستهدف إلا جسم الناشئ وبعضا من عقله، وهو بحاجة إلى أغذية أخرى روحية وعاطفية.

على الأبوين أن يخصصا وقتا للجلوس مع أبنائهما، بعيدا عن المؤثرات الأخرى، بعيدا عن التلفاز، بعيدا عن الحاسوب، إنما لقاء الإنسان بالإنسان، الذي يحقق ذلك الدفء الذي لا يوفره إلا إحساس الإنسان بوجود الإنسان ككائن حي يتمتع بتلك الخصائص التي أودعها فيه الباري عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾. ولدعم هذا الدفء، على الأبوين أن يعملا على توطيد روابط الرحم، نسبا وصهرا.

- على الأبوين أن يقتسما أدوار المحاسب والمعاتب والموجه، عند تأديب أولادهما، دون تعارض ولا شجار. فعندما يعاقب أحدهما، على الآخر أن يأخذ موقع الدفاع ليس بنقض موقف الأول ولكن بتنبيه الابن إلى الخطأ الذي وقع فيه، والعواقب التي يمكن أن تترتب عليه.

- على الأبوين أن يقربا إليهما أولادهما ويصاحباهم، ويتعرفا على مشاكلهم، ويعالجاها بالحكمة والموعظة الحسنة.

- أما رأس الأمر كله، فهو أن يُشْرِبَ الأبوان أولادهما معالم الدين الذي أنزله الله رحمة لعباده. أن يكون الديدن هو تبليغ رسالة الله عز وجل إلى الأبناء، ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾. تبليغ المبادئ الإسلامية عبر أدعية الصباح والمساء، عبر الاصطحاب إلى المسجد للصلاة، والمشاركة في النافلة وحفظ القرآن، ومناقشة مواضيع السيرة والتفسير. فإن لم يكن الأبوان على هذه العادة فليتكلفا حتى يألفا ذلك لأنه المنجاة لهما ولأولادهما. وعلى الأبوين أن يأخذا القدوة من السلف الصالح الذي برع في التربية الأسرية، مثل لقمان الحكيم عليه السلام.

- على الأبوين أن يواضبا على تعلم الدين بصغاره قبل كباره، ويعلماه لأبنائهما. وليكن التعلم والتعليم بالحال قبل المقال.

- وكتتويج لكل ذلك يجب إقامة درس أسبوعي داخل المنزل يهيئه أفراد المنزل بالشكل الذي يناسب ظروفهم المختلفة، وفي هذا "أهل مكة أدرى بشعابها". وليكن الدرس مزيجا من العلم والعمل، في ما هو معروف لديهم من الدين، أو ما توفر لديهم من مراجع ذات مصداقية علمية حقيقية. وليسألوا أهل الذكر إن كانوا لا يعلمون. وليكن ذلك بعيدا عن الترف العلمي، وليستهدفوا ما يلزمهم ويزين حياتهم الحالية والباقية: "تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن تؤجروا حتى تعملوا". ولكن المهم أن يكون الدرس أسريا محضا، كيفما كانت بنية الأسرة، حتى تكون مجالا للتفقه والتعلم الذاتي من جهة، وحتى يكون مجالا للدفء الأسري المؤطَّر بالدين، وحتى ينال أفراد الأسرة في كل أسبوع تلك الجوائز التي وصفها النبي ﷺ في الحديث: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة و ذكرهم الله في من عنده».

لكن الأبوين لن يتحولا من تلقاء نفسيهما إلى ما وصفناه.. نعم إن في جوهرهما الخير الكثير، لكنه مضمر تحت طبقات الشوائب التي أصابت واقعهما. وللعودة بهما إلى الأصل وإزالة تلك الشوائب لا بد من أمور أهمها:

- أن يبدأ بذلك أهل المعرفة ممن وعَوْا هذا الأمر واستوعبوه وعلموا أهميته في أسرهم، حتى يكونوا قدوة لغيره. ثم ينشرونه بين من يحيطون بهم، من الأهل والأحباب والأصحاب والجيران...

- أن تنبري جمعيات أهلية إلى توعية الناس بهذا الأمر وتعطي نماذج وتوجيهات في هذا الاتجاه، وتوفر الدعم اللازم لكل من تجد عنده الاستجابة والعزم، من تكوينات ومراجع...

- أن يتصدى العلماء والخطباء والوعاظ لهذا الأمر، بعد أن يقتنعوا بجدواه وأهميته، بتوجيه الناس ووعظهم وتعليمهم، وتوعيتهم بأهمية الأسرة في تخريج المسلم الصالح.

وفي الأخير يلزم التأكيد على أهمية إعادة الأسرة الإسلامية إلى مكانتها الأصلية التي هي مهد التربية الإسلامية الصحيحة. ذلك أن الأسرة هي الوحدة التي يتكون منها المجتمع، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع تلقائيا. وبالعمل على إصلاح الأسرة تكون الجهود وفيرة ومتظافرة، وتكون العودة إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، سهلة وسلسة. وإن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وهو المشير إشارة صريحة إلى أن الأسرة هي الأساس في التربية وفي تخريج الإنسان الصالح أو الطالح، حين قال: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

نسأل الله التوفيق والسداد لكل من أخلص النية في هذا الأمر، ونسأله أن يجعلنا من السابقين في ذلك.

دور الأم في صلاح المجتمع

لا يكاد يختلف أحد سواء كان من المثقفين أو من الأميين على أهمية الأسرة وضرورتها في الحياة، فهي تعتبر نظاما اجتماعيا كاملا بجزئياته وآلياته الخاصة به، نظام صغير جدا يؤثر تأثيرا بليغا على صعيد الفرد والمجتمع، فهو الميزان والمقياس لمعرفة طبيعة المجتمع وحالته الاجتماعية، ومن خلاله يتسنى للدارسين الحكم على هذا المجتمع بالصلاح والنجاح أم بالفساد والضياع.

هذا النظام أو المجتمع الصغير يعبر بحق عما يعيشه المجتمع الكبير، فما تؤكده الدراسات والأبحاث وخصوصا الأسرية منها أن العلاقة بين الأبوين والأطفال لها تأثير عميق في نمو شخصيات الأبناء وظهور ميولاتهم على صعيد لغوي وعقلي واجتماعي ونفسي وانفعالي كذلك، فكل فعل يقوم به الإبن ينسب للأب إن لم يكن من جهة التربية كان من جهة النسب، وقد قال العرب قديما "هذا الشبل من ذلك الأسد" وإن كنا لا نسلم بذلك إذ المرجع الأصل لانفعالات الأبناء هي الأم بالأساس وليس الأب كما يتوهم البعض.

فالمجتمع هو عبارة عن مجموعة من الأسر الصغيرة أو بعبارة أخرى هو عبارة عن مجموعة من التأثيرات سواء الإيجابية أو السلبية، الصادرة عن مجموعة من الأفراد يشكلون وحدات صغيرة في المجتمع الكبير، هذه التأثيرات وإن كانت صادرة من وحدات صغيرة جدا في المجتمع يمكن أن تمثل الوحدة فيها من ثلاثة أطراف فقط (أب، أم، ولد أو بنت) لها نصيب كبير في توجيه دفة المجتمع إما إلى الأمام أو إلى الخلف، فبعد دراسة معمقة قام بها بعض الدارسين تبين أن جنوح الأحداث للقتل أو السرقة أو الإفساد بشكل عام هو عبارة عن نتيجة أو ثمرة لطبيعة التربية التي تلقاها هذا الحدث، فالعصاب الطفلي مثلا (infantile neurosis) قد يكون نتيجة لما تتعرض له علاقة الطفل الصغير بأمه من إعاقة أو اضطراب خلال مراحل تكوين الذات ونموها وفي حالات كثيرة يشتد اضطراب العلاقة بين الصغير وأمه فتشتد الإعاقة وتصل إلى مرحلة الذهان الطفلي (infantile psyophosis)، وأكدت الدراسة على أن اللحظات التي ينفصل فيها الطفل عن ملاصقة صدر الأم أو يستقل فيها بالحركة والنشاط على بعد منها تعتبر ضرورية وخطيرة في آن واحد لنمو الذات أو نمو الاستقلال الذاتي، هذا الاستقلال إن لم يجري في جو آمن فإن الأم تبعث إلى المجتمع بشخص معقد يزيد في تعقيد المجتمع وقابل للتحول السلبي في أي وقت يتعرض فيه للضغط النفسي كالقهر أو الفقر أو عدم القبول في المجتمع، لذلك فالأم في هذه المرحلة تلعب دورا خطيرا جدا في تشكيل المجتمع وصقل واجهته الرئيسية، فالفترة التي يتم فيها الفصل بين الأم وابنها تكون الذات أو ولادة الذات ونمو الاستقلال الذاتي في العامين الأول والثاني من عمر الطفل من أخطر المراحل التي تمر بها العلاقة النفسية بين الطفل والأم وأبعدها أثرا فيما يتعرض له من اضطرابات أو ما يتمتع به من صحة نفسية في المستقبل.

لذلك فترشيد الأم على وجه الخصوص في الالتزام بأساسيات التنشئة الدينية والاجتماعية والنفسية للطفل يعتبر أمرا ذا أولوية خاصة، وكذلك في تحركاتها وتصرفاتها مع طفلها في مرحلة استقلاله الذاتي، فكل تصرف يصدر من الأم إن لم يكن تصرفا طبيعيا ينم عن الفطرة التي فطر الله عليها الجهاز الجسدي والنفسي للأم فإنه سيكون له تأثير بالغ على حياة الطفل ونفسيته، كأن تسرع الأم في فطم طفلها أو تأخيره على سبيل المثال وإلا فتصرفات الأم في هذه المرحلة عديدة يجب أن تراعى بنوع من الحذر والتفطن.

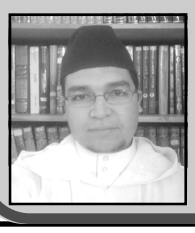

ذ. امحمد رحماني
arahmani@hotmail.com

اليوم العالمي للمرأة والدور المطلوب

المفهوم الشرعي للأسرة

محاضرة ألقيت بإسبانيا: أعدَّتها للنشر(بتصرف): خديجة بوهو

د. فريد الأنصاري رحمه الله

مدخل: موضوع الأسرة في هذه المحاضرة، سيرتبط في قسمه الأكبر بالمفهوم الديني للأسرة..

المقصود بالمفهوم، هو التحدث عن المضمون العلمي لكلمة "أسرة"، فهذه العبارة الاصطلاحية ليست عبارة عادية، بل لها دلالة اصطلاحية تتعلق بمعنى معيّن وهو معنى اجتماعي..

الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكلمة (أسرة):

فأصل الاستعمال اللغوي للكلمة هو: الهمزة أو الألف والسين والراء: يدل على الارتباط عموما، كل شيء ارتبط بشيء عبر عنه بـ(الألف والسين والراء)، ولذلك قيل "للأسير" أسيرٌ، لأنه مرتبط بمكان على سبيل الإلزام والحتم.

المعنى الذي تحمله كلمة (أسرة) ليس معنى لغويا عاديا، بل هو معنى ديني، بعبارة أخرى كلمة (الأسرة) هي كلمة دينية وليست كلمة عادية. **والمعروف أن الكلمات الدينية قد تكون لها معانٍ على عكس مضمونها اللغوي**، مثلا: "الزكاة" لغة تعني الزيادة، ولكن من الناحية العملية الاقتصادية هي النقصان، لأن الزكاة تُنقص نسبة معينة من المال تزكية له، ولكن في الحقيقة الدينية من حيث البركة والتوسيع الرباني في الرزق، وأيضا زيادة الأجر في الآخرة سميت زكاة.. وهكذا فكثير من الألفاظ الدينية قد يكون المعنى اللغوي في سياق، والمعنى الديني في سياق آخر مختلف، ومفهوم الأسرة في هذا السياق له معنى من الناحية اللغوية، ولكن من الناحية الدينية لها معنى آخر مختلف.

كلمة(الأسرة) دينية بالأساس، والمركز الديني الأساسي أو المركزي فيها هو مفهوم "العقد"، وهو المعروف عند الفقهاء، وعند علماء القانون المعاصرين..

عقد الزواج التزام ديني:

الزواج عقد من العقود، ومفهومه العلمي أو الديني هو عقد والتزام، ولكن ليس التزاما مدنيا كما يعبر قوم، بل هو التزام ديني، **لأن الالتزام الديني هو التزام قلبي وجداني عقدي، أما الالتزام المدني فهو التزام اجتماعي يمكن التّحايل عليه إذا أمكن أو تُيسّر للملتزم به أي نوع من أنواع الانفلات عنه.** ومن الأمثلة العملية في ذلك ما يلي:

● في قانون السير: الارتباط والالتزام بقانون السير مدني، عند إضاءة الضوء الأحمر يجب أن تقف، وجود شرطي ينظم المرور يوجب الالتزام بأوامره.. لكن كثير من الناس عندما يُقدِّرون أن لا شيء من الخطر متوقع لا يلتزمون ولا يحترمون تلك التعليمات!..

● في شهر رمضان نجد فرضية الصيام، وهو عبارة عن التزام ديني: فالامتناع والانقطاع عن الأكل والشرب والجماع، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس هو التزام، لكن التزام المسلم هذه المرة ليس التزاماً مدنياً، بل التزام ديني ينطلق من وجدان القلب وله بُعد إيماني.. فحتى لو أغلقت عليه سبعة أبواب وهو في ظلمة لا يراه فيها أحد، فلن يُفطر رمضان لأن التزامه ديني يقع مائة في المائة ولا يستطيع التحايل عليه.

لماذا هذا الفرق بين الالتزامين؟

في الأول نجد أنه ليس عندنا اقتناع ديني مجموعة من العقود والالتزامات المدنية، وهذه هي نقطة الضعف في القانون الوضعي، وهي نقطة الضعف الكبيرة عند من يشرع هذه القوانين.. فالتزام الناس بالقانون ليس التزاماً دينياً، إنما هو التزام مدني، والناس يلتزمون به خوفا من السلطة التي تحمي هذا القانون. أما بخصوص النوع الثاني من الالتزام، فالناس يلتزمون لأنهم يعتبرون ذلك دينا وطاعة لله تعالى وقربة منه.. إذن الالتزام الديني له طابع معين، والالتزام المدني له طابع آخر مخالف.. ومن ثم نقول **إنه لن يحصل انسجام في المجتمع إلا إذا أصبحت كل الالتزامات دينية، وهذا ما يسمى بتطبيق الشريعة الإسلامية.** بل إن من القوانين الوضعية مَا يكون صالحا وضروريا لاستقامة حياة الناس، كما هو الحال بالنسبة لقانون السير، فلا يمكننا الاستغناء عن استخدام قانون السير وعدم الالتزام به، ولكن وجب إدخال المفهوم الديني فيه، فمثل هذه القوانين تدخل في صلب الشريعة الإسلامية باستعمال مبدأ في "علم أصول الفقه" يسمى عند العلماء بـ"الاستصلاح"، فبه يشرّعونَ ويقنّنون بناء على مبادئ إسلامية مدقّقة، فتربط به أحكام المقاصد والغايات الشرعية، ومن ثم لما تصدر به الفتوى الشرعية يُصبح ملزما إلزاما شرعيا وليس مدنيا فحسب!. ويتغير كل شيء حيث لا تبقى مخالفة المخالف عبارة عن مخالفة سجلها ضده شرطي المرور فحسب، بل تصبح مخالفة سجلها الشرطي ولها تبعات أخروية.. فهو حين يقف عند الضوء الأحمر، يفعل ذلك ليس خوفا من الشرطي، بل خوفا من الله عز وجل أولا وأخيرا، وخوفا من عقابه.. ويصبح الإلزام شرعياً، والملتزم في هذه الحالة متقيِّد بفعله، فإذا وقف عند الإشارة الحمراء فله حسنة، وإذا تجاوزها فعليه سيئة ويعتبر آثما!!

هذه مقدمة ضرورية كي نفهم الالتزامات الدينية والالتزامات المدنية، ونفرق بينهما.. بهذا المنطق نقول **إن مفهوم الأسرة عقد من العقود وهذا باتفاق الجميع، يعني اتفاق أهل القانون الوضعي وأهل الفقه الإسلامي، ليس هناك خلاف بينهم، لكن المشكلة تكمن وتدور حول مفهوم العقد، هل هو مفهوم ديني أم مفهوم مدني؟ هذا هو المشكل الذي حصل في قضية "خطة إدماج المرأة في التنمية"، فالمشكل يرجع في تحديد "المفهوم" ومن له الصلاحية في الاجتهاد في هذه المسألة؟ فإذا اعتُبر العقد مدنيا، فأهل القانون وأهل الاجتماع هم المعنيون، وإذا اعتبر العقد دينيا، فهو صناعة فقهية، وهذا النوع صناعة اجتهادية تحتاج إلى أصحاب التخصص الديني، وفي هذه الحالة يكون أهل علم الاجتماع وعلم النفس والقانون مستشارون في هذه القضية..** وقد كان الإمام مالك رحمه الله تعالى، يشاور في فتواه أهل العادات، فإذا أراد مثلا أن يفتي في قضية البيع والشراء، يشاور أهل السوق ومن لهم دراية بأمور التجارة.. **فما دامت القضية قضية دينية، فالمفتي فيها يكون هو الفقيه المتخصص في العلوم الشرعية والباقي مستشارون له..**

الزواج مباح بالجزء، واجب للكل!

إذن فالعقود الدينية وعلى رأسها عقد الأسرة، عقود ترجع إلى التكاليف الشرعية، فكما أن المسلم كلف بالصلاة والصيام والزكاة والحج، وما يتفرع عن ذلك من أعمال البر والخير والإحسان، فقد كلف أيضا في هذا النطاق ببناء الأسرة المسلمة على سنة الله ورسوله ابتداء بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ يقول العلماء هذا (أمرٌ)، والأمر للوجوب يعني: ما دام أن الإنسان قد عقد عقدا رجلا كان أو امرأة فالمطلوب والواجب عليه الوفاء بهذا العقد، فالزوج يفي بعقده إزاء زوجته، والزوجة أيضا تفي بعقدها إزاء زوجها..وهنا تعلق الوجوب بالوفاء تعلقا دينيا، يعني أن المخالف سواء الزوج الذي يخون زوجته، أو الزوجة التي تخون زوجها، يكون قد اقترف خيانة في حق الله عز وجل أولا وقبل كل شيء، إذن الخيانة لله فهمت من هذا المنطق الصريح ﴿أوفوا بالعقود﴾، إضافة إلى أن الأمر هنا على إطلاقه كما يقول علماء أصول الفقه، يعني ليس عقود البيع والشراء فقط، بل يدخل فيها كل عقد شرعي من بيع وشراء وكراء.. ويدخل فيه أيضا معنى عقد الزواج وغيره، والله عز وجل بعد ذلك حين ذكر عقد الزواج في سياق آخر سماه "الميثاق الغليظ" قال تعالى: ﴿وأخذنا منكم ميثاقا غليظا﴾.. فهذا الوصف العجيب -غلَظُ الميثاق- مرة سمي عقدا، ومرة سمي ميثاقا، والموثق موثق من الله تعالى هو عبارة عن إشهاد الله عز وجل على ما في القلب، ولذلك نقول"تزوج على سنة الله ورسوله" بإشهاد الشاهدين العدلين، كل ذلك نوع من استحضار البعد الديني، واستحضار البعد الإيماني التعبّدي..

الزواج ليس عادة، ليس من أفعال العادات، بل هو من أفعال العبادات، ورغم أن الفقهاء يصنفونه في باب العادات، لكنه داخل في باب العبادات، والسر في تصنيفه في باب العادات، هو كونه مما يسميه العلماء بـ"المباح بالجزء الواجب للكل"

فالله سبحانه وتعالى عدد الواجبات في الكتاب والسنة وأعطانا الأوامر (الأمر بالوجوب)، كما قال العلماء في قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فيه أمر بالوجوب، وقوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ خبر في معنى الأمر بالوجوب، يعني أنها أمور واجبة. ويتعرف على أنها واجبة من خلال العبارات التي عبر القرآن الكريم عليها بـ(الأمر)، وأحيانا يأتي الأمر ولا يعطي الوجوب، بل يعطي الوجوب أو يعطي الندب، والذي يهمنا في هذا الموضوع هو الإباحة الذي هو الزواج، فالنبي ﷺ حين أمر بالزواج قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج..»، ورغّب في التناسل وقال عليه الصلاة والسلام: «تناكحوا تناسلوا فإني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة».. وغيرها من الأحاديث الآمرة بالزواج في السنة النبوية، والعلماء يقولون إن هذه الأوامر للإباحة وليس للوجوب وهذا هو الأصل في المسألة، وهذا سمي "مباح بالجزء"، لماذا؟ وما معناه؟ معناه: أن أي امرأة أو رجل قررا ألا يتزوجا، فلا بأس عليهما شرعا بشرط ألا يقعا في الحرام (الزنا)، وشريطة ألا يشعر أحدهما بالرغبة في الوقوع في الحرام والميل إلى الزنا، لأنه إذا كان بين هذين الأمرين، فالزواج في حقه يكون واجبا أو مندوبا، وإذا لم يكن عنده هذان الأمران وعنده رغبة في حياة أخرى، كالتفرغ للعلم أو التفرغ للعبادة، كما تفرغ علماء في السابق كشيخ الإسلام ابن تيمية، وسيد قطب وعدد كبير من العلماء رجالا ونساء.. فهذا لا حرج فيه من الناحية الشرعية. ولكن قد يصبح الأمر خطيرا عندما يُجمعُ الناس على عدم الزواج، فمثلا **لو أجمع المغاربة على عدم الزواج مدة مائة سنة، فلن يبقى أي مغربي على وجه الأرض!!.. سينقرض الناس ويموتون ولن يبقى خلق جديد.. لذلك قالوا: "أن الزواج مباح بالجزء، واجب بالكل".. فأي شخص رأى في نفسه عدم الزواج، فذلك أمر يهمه ويخصه، ولكن بالنسبة للأمة لا تجوز الفتوى الجماعية بعدم الزواج إطلاقا فهذا حرام، فلا يجوز تحديده أو منعه وطنيا، لأنه مضاد لقصد الشارع في حفظ النسل وجودا وعدما.**

وهنا نتساءل: لماذا جعل الله تعالى الزواج مباحا وليس واجبا؟؟ **يقول العلماء إن الأوامر التي هي موافقة للجبلة الطبيعية أي التي تكون موافقة للفطرة البشرية لا تأتي إلا بالإباحة** فمثلا قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا﴾ يعني الإباحة في الأكل والشرب، لأن الإنسان مثله، مثل الكائنات الحية على وجه الأرض، تأكل وتشرب فطرة وبشكل طبيعي وتتزوج فطرة لأن الطبيعة التي خلقت عليها جميع الكائنات هي طبيعة تزاوجية.. لهذا

الأمة اليوم يراد لها أن تُضرب في دماغ دينها، في المفهوم الديني للأسرة، لأن من يسعى لذلك يعلم أنه كلما تحقق ذلك، أصبح من السهل واليسير المرور إلى ما دونه. هم ماذا يريدون؟ يريدون بكل بساطة الوصول إلى المفهوم العلماني للأسرة وحل المفهوم الديني لها.. ومن ثم القضاء بالكلية على أهم خاصية اجتماعية تُنتَج وتبنى على المفهوم الديني للأسرة ألا وهي خاصية "الحياء". ولكم أن تتساءلوا: لماذا يخجل الابن من أمه؟ لماذا تستحي الفتاة من أبيها؟ لماذا يستحي الأبناء من أبويهم؟ من أين جاء هذا الحياء؟

السبب لم يكن أمر الزواج إلزاميا لأن الإنسان سيقوم به تلقائيا.. وعلى العكس جاء الأمر بالإلزام في الصيام لأنه ليس من طبيعة الإنسان ألا يأكل ولا يشرب، فالأمر هنا يخالف "الجبلة"، وفيه نوع من الإلزام النسبي أو الانقطاع عن الطبيعة الإنسانية، وكأنه يرتقي إلى درجة الملائكة التي لا تأكل ولا تشرب، ولكن في لحظة معينة من الفجر إلى المغرب، ولهذا جاء الأمر بالإلزام ﴿كتب عليكم الصيام﴾، لأن القضية صعبة، إذ لو لم يأت فيها أمر ملزم، لن يصوم أحد!!

أما الزواج فلا يحتاج إلى أمر أو إلزام فالناس يتزاوجون طبيعة، وفطريا، وجبلية..لأنهم يشعرون أنهم بحاجة إليه، فكانت الأوامر الدينية المتعلقة بالأشياء الحياتية أي البيولوجية أوامر فيها الإباحة..

وعلينا أن ننبه إلى أنه لا فرق في الأمور الدينية بين الواجب والمباح، فكل ذلك دين، ومن هنا نجد حينما أراد بعض الصحابة الانقطاع الكلي عن الزواج، منعهم النبي ﷺ خوفا منه أن تصبح "سنة" فقال : «إني أعبدكم لله وأتقاكم له، فإني أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».. فكان ﷺ في هذه المرحلة يقرر للأمة ويشرع لها، وكان قوله حاسما في هذه المسألة ومانعا من اعتزال الزواج بالمرة، مُبينا بذلك أن العبادة توجد كذلك في الزواج. قال ﷺ : «وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا:أيأتي أحدنا شهوته ويكون له بذلك أجر؟ قال: «نعم! أرأيت إن وضعها في حرام ألا يكون له بذلك وزر؟» قالوا: بلا! قال: «كذلك إن وضعها في حلال كان له بذلك أجر».. وللصدقة هنا مفهوم أخروي.

الزواج عبادة من العبادات

فكل الأدلة تجمع على أن الزواج عبادة، وأنه ديني كسائر العبادات، فكانت الأسرة إذن مبنية على العقد. فعندما يوقَّع العقد ويتزوج الزوجان، تنشأ أسرة، وهي أسرة حتى ولو لم يكن هناك أبناء، لأن الأبناء في حكم "الإمكان"، فمجرد وجود رجل وامرأة بعقد شرعي فتلك أسرة بالأصالة، وإذا لم يكن عقد شرعي فليست أسرة بالمفهوم الديني الشرعي..

الأسرة ترتبط بشبكة دينية تسمى "الرحم" وهو عبادة من العبادات وقد ربط الله عز وجل الرحم أولا بالزواج الشرعي، ولولا ذلك لما كان رحم ولا صلة رحم، ولا كانت أحكام الحلال والحرام متعلقة أساسا بشيء اسمه الرحم.

والرحم كما في الحديث مشتق من (بسم الله الرحمان الرحيم)، وقد قرن الله عز وجل تقوى الله بتقوى الأرحام في آية عجيبة، حيث قال تعالى في سورة النساء: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾.. يعني اتقوا الله عز وجل، واتقوا الأرحام وهو جمع رحم، أي العائلة بأصولها وفروعها.. فلولا الأسرة بمعناها الشرعي لما كانت هذه الشجرة المقدسة، ولما كان هذا الميثاق المقدس الغليظ، ﴿وأخذنا منكم ميثاقا غليظا﴾، ففيه نوع من القداسة مثل قداسة المسجد تماما.. ﴿فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾، **فالذي يحاول أن يهدم أسرة أو يفككها، أو يمس بها، فكأنه يهدم مسجدا!! ولذلك جاءت كثير من أحكام البشارة والنذارة تتعلق بالرحم، وقدسية الرحم..**

صلة الأرحام من الإيمان

من دلائل القدسية بخصوص الأسرة، ذلك الفرق الشاسع عند الله تعالى بين من يصل رحمه، ومن يقطع رحمه.. فمن الأجر والبركة التي تلحق بواصل الرحم في الدنيا ما جاء في حديث رسول الله ﷺ : «من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه »، يعني البركة في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة، على عكس قاطع الرحم فليس له من ذلك شيء، حيث نجد الرسول ﷺ يأمر ذلك الرجل الذي قطع عمّته -ليست أمّه أو أباه- بل عمّته فقط!، يأمره بمراجعة عمته قبل أن تموت وقبل أن يموت.. من هنا نقول إن للرحم قداسة عند الله عز وجل، وأن مفهوم الرحم بدون المفهوم الديني للأسرة ليس له معنى وكلام لاغي.. فلا يمكن أن يكون هناك رحم وليس هناك مفهوم ديني مرجعي للرحم الذي هو المفهوم الديني للأسرة.. من أجل ذلك كانت المفاهيم الشجرية للأسرة كلها مفاهيم دينية..

المفاهيم الشجرية للأسرة

ماذا نقصد بالمفاهيم الشجرية؟

نعلم أنه في البداية يكون الانطلاق من زوج وزوجة، وهما الأصول، وعندما يُنجبون ويأتي الأبناء تتغير أسماؤهم إلى أب وأم.. فيوجد الابن والبنت والأخ والأخت.. وتبدأ عملية التفرع الشجري تتوسع انطلاقا من تلك الأصول.

وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة هامة وهي تلك المتعلقة بمفهوم الأب والأم والأخ والأخت وغيرها، فالواجب أن نعلم أنها كلها مفاهيم دينية كذلك..

ما الدليل على ذلك؟

هب أن امرأة أنجبت ولدا من سفاح وزنا، أو أن رجلا كان سببا في وجود ابن زنا، فإن الشرع في هذه الحالة لا يُلحق ذاك الابن بالنَّسب لأبيه!.. فمن الناحية البيولوجية والواقعية فإن نطفته هي السبب في وجوده وهو ابنه، لكنه جاء من الطريق الخطأ، جاء من طريق غير شرعي، ولا يعتبره الشرع ابنا له!! فلا يلحق به بالنسب ولا يرث منه.. هنا يتضح لنا مرة أخرى الفرق بين ما هو مدني وما هو ديني..

وكذلك بالنسبة للأم، فكلما أنجبت طفلا كان ذلك من حسناتها، لأن العلاقة البدئية(الزواج) كانت على سنة الله ورسوله، وفق عقد شرعي، ووفق رباط غليظ يرضاه الله تعالى.. لذلك نجد الرسول ﷺ يقول لمن سأله : أي الناس أحق بصحبتي يا رسول الله؟ قال : «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك!»، قال: ثم من؟ قال : «أمك!»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك!».. فلا يمكن أن يكون هذا التأكيد ساريا ثلاث مرات: أمك، أمك، أمك، إذا كان الإنجاب سِفاحا، وكانت الولادة حراما.. بالتالي لا يمكن أن تكون هناك أخوة حقيقة بالمعنى الشرعي لأن المنطلق فاسد والنبت غير صالح..

الأسرة جوهر المناعة في المجتمع الإسلامي

الأمة اليوم يراد لها أن تُضرب في دماغ دينها، في المفهوم الديني للأسرة، لأن من يسعى لذلك يعلم أنه كلما تحقق ذلك، أصبح من السهل واليسير المرور إلى ما دونه. هم ماذا يريدون؟ يريدون بكل بساطة الوصول إلى المفهوم العلماني للأسرة وحل المفهوم الديني لها.. ومن ثم القضاء بالكلية على أهم خاصية اجتماعية تُنتَج وتبنى على المفهوم الديني للأسرة ألا وهي خاصية "الحياء". **ولكم أن تتساءلوا: لماذا يخجل الابن من أمه؟ لماذا تستحي الفتاة من أبيها؟ لماذا يستحي الأبناء من أبويهم؟ من أين جاء هذا الحياء؟ والجواب: أنه جاء من أساس واحد هو العلاقة الجنسية المبنية في الإسلام على خلق الحياء ممارسة وكلاما ومظهرا، الأبناء لا يستطيعون تغيير ملابسهم أمام آبائهم حياء.. فكل ما يتعلق بالحياة الجنسية للإنسان يدور به شيء اسمه الحياء في الإسلام. ليس المنع بل الحياء يعني أنه يُمارس بشكل جمالي إنساني راق، الحياء خلق عظيم يترك الأسرة منسجمة ومتماسكة، وكل ذلك كان نتيجة الكلمة الأولى والأصل الأول الذي انطلقت منه هذه الشجرة ألا وهو القرآن على سنة الله ورسوله..**

والأمر ليس على نفس الشاكلة إذا كان منزوع الحياء، يمارس بشكل بهائمي، وهذا ما يحصل اليوم في أوروبا، حيث ماتت معاني الحياء وأصبح الناس كالبهائم بل أضل كما قال تعالى ﴿كالانعام بل هم أضل﴾، لقد ماتت القيم الأخلاقية المتعلقة بخلق الحياء بعد انهيار القيم الدينية المتمثلة في النصرانية، حيث كانت بمثابة المرجع الذي يؤطر مفهوم الأسرة دينيا، فلما انقرض الحياء، انقرضت واندرست آخر معاني الدين في هذه الديار..

بناء الأسرة هو بناء للمجتمع

جاءت أحكام الأسرة في القرآن الكريم مفصلة بشكل لا يدع مجالا للاجتهاد العقلي.. فهناك أحكام الزواج، وشكله، ووقته، وشروطه.. ونجد أحكام الرضاع والفطام والنفقة، وكذلك الطلاق وما يرتبط به.. نجد كل الأعمال التي تقع بين الزوجين مفصلة تفصيلا إلى درجة الجزئيات، وهذا يعني أن القرآن الكريم يضع النقط على الحروف-كما يقولون- في مسألة الأسرة ولا يترك مفهومها عرضة للأهواء والضياع، أو للتأويل والفهم الخاطئ.. والهدف هو أن تبقى أمور الأسرة أمورا ثابتة لا تخضع لزمان متطور أو لمكان متغيّر، لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تبقى أحكام الأسرة ثابتة لا يغيرها أحد، أن تبقى ديناً لا تتدخل فيه تأويلات المذاهب الفكرية، ولا الأهواء السياسية أو الأغراض الدنيوية.. **ولقد بقي المغرب محتفظا بالقيم الدينية الخاصة بالأسرة في مدونة الأحوال الشخصية، المصدر الوحيد الذي لم يلحق به انحراف رغم الأصوات المنادية بالتغيير والتبديل والخروج عن طوع الله تعالى في أحكام الأسرة.. ولعمري لو أن المغاربة لم يطبقوا ما جاء في هذه المدونة لكفرنا منذ زمن بعيد!! اسمعوا ماذا يقول رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..» وهذا يعني أن الأب والأم هما من يصنع الدين في الطفل، أي أن الأسرة هي القناة الوحيدة الضامنة لاستقرار الدين في هذه الأمة..** فالدين في هذه البلاد لم تحمه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ولم تحرسه الجماعات الدينية، الدين في المغرب كان قبل الجماعات الدينية، وسيبقى بانعدامها أيضا، وهذا نقوله لكي لا يبقى عند بعض الناس غرور ويقولوا أن الحركة الإسلامية هي التي كانت سببا في بقاء واستمرار الدين في المغرب.. كلا!.. نعم هي تعين وتجاهد، ولكن ليست السبب في الاستمرار.. فلا هي المؤسسات الرسمية ولا هي المؤسسات الشعبية التي تحمي الدين في المغرب، **ولكن الذي يضمن استمرار التدين في المغرب هو الأسرة، وهذا هو الذي سيبقى صمام الأمان للمجتمع ما دمنا نتزوج على سنة الله ورسوله، فما دمنا على هذه الشاكلة نتزوج على وفق شرع الله تعالى فسنبقى مسلمين بإذن الله عز وجل، وهذا يؤكد مرة أخرى أن الأسرة في المنظور الإسلامي ليس عقدا من عقود الدنيا بل هو عقد من عقود الآخرة، والدخول إلى باب الأسرة يجب أن يكون من الباب الشرعي، وهو ما يسميه العلماء(باب الإذن) الباب المأذون فيه، وهو الذي أعطاك الله تعالى فيه الإذن بالولوج. وهناك باب ممنوع ليس لك فيه إذن، فهو المحرمات، يكون محاطا بسياج من الأحكام الدينية (هذا حلال وهذا حرام).. إذن الأسرة هي الدين، والدين هو الأسرة!!..**

لو أجمع المغاربة على عدم الزواج مدة مائة سنة، فلن يبقى أي مغربي على وجه الأرض!!.. سينقرض الناس ويموتون ولن يبقى خلق جديد.. لذلك قالوا: "أن الزواج مباح للجزء، واجب للكل".. فأي شخص رأى في نفسه عدم الزواج، فذلك أمر يهمه ويخصه، ولكن بالنسبة للأمة لا تجوز الفتوى الجماعية بعدم الزواج إطلاقا فهذا حرام، فلا يجوز تحديده أو منعه وطنيا، لأنه مضاد لقصد الشارع في حفظ النسل وجودا وعدما.

ولكن الذي يضمن استمرار التدين في المغرب هو الأسرة، وهذا هو الذي سيبقى صمام الأمان للمجتمع ما دمنا نتزوج على سنة الله ورسوله، فما دمنا على هذه الشاكلة نتزوج على وفق شرع الله تعالى فسنبقى مسلمين بإذن الله عز وجل، وهذا يؤكد مرة أخرى أن الأسرة في المنظور الإسلامي ليس عقدا من عقود الدنيا بل هو عقد من عقود الآخرة، والدخول إلى باب الأسرة يجب أن يكون من الباب الشرعي، وهو ما يسميه العلماء(باب الإذن) الباب المأذون فيه، وهو الذي أعطاك الله تعالى فيه الإذن بالولوج. وهناك باب ممنوع ليس لك فيه إذن، فهو المحرمات، يكون محاطا بسياج من الأحكام الدينية (هذا حلال وهذا حرام).. إذن الأسرة هي الدين، والدين هو الأسرة!!..

المرأة المسلمة المعاصرة بين التحرر المشهود والتحرر المنشود

د محمد الأنصاري الفيلالي

مقدمة :

إن مسألة تحرر المرأة المسلمة المعاصرة من قيود التقاليد الراكدة والعوائد الوافدة، ونقلها من الواقع المشهود إلى الموقع المنشود والمطلوب شرعا وواقعا وإنسانا، هو تحرر للإنسان المسلم عامة. وهذا التحرر لا يجادل في وجوبه الشرعي وضرورته الواقعية والبشرية إلا معاند جاهل أو ضال منحرف أو مقلد تابع.

والسؤال المطروح في هذا الإطار: هو تحري منطلقات هذا التحرر وقواعده، وكيف ينبغي أن يتم ذلك وما سبيله وما المقصود منه؟.

إن جوهر المشكلة هي أن العديد ممن ينادون بهذا التحرر، يريدونه تحررا من الدين وأحكامه وقيمه ومبادئه، من منطلق التبعية للآخر وثقافته وتقاليده في الحياة كلها، وهذا النوع من التحرر المشهود في واقع الأمة اليوم، ما هو في حقيقة الأمر إلا استعباد للمرأة المسلمة واستغلال لها، وتنكر لخصوصيتها ووظيفتها، وانسلاخ من دينها وهويتها الحضارية، وتقليد أعمى للغرب واتباع لثقافته الطينية الدنيوية، في حين أن المسلمين المتمسكين بدينهم، المحافظين على هويتهم وأحكام شريعتهم ، الواعين بواقعهم ومستجدات حياتهم،يريدونه تحررا بالدين وقيمه ومبادئه ومنهجه إلى الدين وهداياته المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير، ليحققوا بهذا التحرر الشامل الوظيفة التي خلقوا من أجلها في هذه الحياة الدنيا وهي عبادة الله تعالى وحده وعمارة أرضه وتحقيق الشهادة على الناس كما أمرهم بذلك رب الناس وخالقهم سبحانه وتعالى.

وفيما يلي بيان لمنطلقات التحرر المنشود ومنطلقات التحرر المشهود، وبيان لمقتضيات التحرر المطلوب شرعا المنشود واقعا وإنسانا.

أولا: المنطلقات:

1- منطلقات التحرر المطلوب شرعا المنشود واقعا وإنسانا :

أ- المنطلق الشرعي يوجب تحرر الإنسان المسلم رجلا وامرأة، ومقتضى ذلك كما يلي :

أ- -1 – أن تمليه علينا قواعد الدين ومقاصد :

إن التحرر المطلوب شرعا هو التحرر المنشود لحياة أفضل للمرأة المسلمة المعاصرة خاصة وللإنسان المسلم عامة،فالتحرر المنشود هو التحرر الذي يمليه علينا ديننا وقيمنا وثقافتنا قال تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم﴾(التكوير : 28)، فهذا هو التحرر الذي يطمح إليه ويعمل من أجله كل الخيرين من أبناء هذه الأمة وفي مقدمتهم علماؤها والدعاة إلى الله فيها.

إنه التحرر الذي ينطلق من الدين قواعد ومقاصد قلبا وقالبا، قال تعالى :﴿إن الدين عند الله الاسلام ﴾(آل عمران :19)، فتحرير المرأة لم يكن ولن يكون إلا بالإسلام شريعة وأخلاقا ومعاملات ونظما، تماما كما حصل في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، حيث تحررت المرأة كما تحرر الرجل من قيود الكفر والضلال إلى رحابة الإسلام والإيمان والهدى، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، لذا فإن أي تحرر للإنسان المسلم بل للإنسان عامة رجلا وامرأة يخرج عن قواعد الإسلام ومقاصده لن يكون إلا استعبادا لهذا الإنسان وإفسادا لفطرته ،والله تعالى لا يقبل من الأعمال والأقوال إلا ما كان منها على وزان قواعد الإسلام وميزان مقاصده، قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾(آل عمران :84).

أ- -2 – أن ينطلق من الرسالة القرآنية ويهتدي بهداياتها المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير:

إن التحرر المنشود هو ذلكم التحرر الذي ينطلق من منطلق الشعور بأن عزتنا ونهوضنا وتحررنا وشهودنا الحضاري ،لا يتم إلا بالدين والأخلاق التي بعث الرسول ﷺ لإتمامها، قال تعالى:﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾(الجمعة : 2)، فهذا المنطلق هو أساس كل نهوض حضاري، وكل تعليم وتزكية للعقول والأنفس، وأساس كل تنمية بشرية شاملة ، تهدف إلى تحرير الإنسان كل الإنسان في أي زمان ومكان من الجهل والتخلف والتبعية وسوء الأخلاق.

إنه منطلق الوظيفة الرسالية التي حددتها الرسالة القرآنية الخالدة للرسول الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ، تلاوة بمعنى القراءة لآي القرآن وتلاوة بمعنى الاتباع لمقتضاها، وتزكية للنفس بها. إنه منطلق الترقي في مدارج التزكية بالقرآن تلاوة وفهما وتبصرا وتخلقا، ومنطلق التعلم للكتاب والحكمة.

بأداء هذه الوظائف القرآنية تحققا وتخلقا، والاهتداء بهداياتها المنهاجية كما سلف استطاع الرسول ﷺ تحرير الإنسان كل الإنسان،وعلى رأسه المرأة الإنسان من أغلال الدنيا،ومن قيود الكفر والضلال والانحراف الفكري والخلقي،فصار بذلك التحرر إنسانا آخر، ولد من جديد ببعث روح القرآن فيه بعد ما كان ميتا رغم حياته الشكلية،قال تعالى:﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾(الأنعام : 122)، لأن الكفر والعيش في أحضان الظلمات موت بل أشد من الموت،كيف لا والإنسان يعيش حياة البهائم والأنعام لا حياة بني آدم المكرم بالوحي، قال سبحانه وتعالى:﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾(الإسراء : 70)، إنه منطلق التكريم لبني آدم جميعهم،ومنطلق الإنعام عليهم بنعمة الحمل في البر والبحر والرزق من الطيبات، ومنطلق التفضيل الإلهي لهم على كثير من مخلوقاته سبحانه وتعالى.

فالتحرر من منطلق كل ذلك منة إلهية ونعمة ربانية تقتضي من الإنسان المحرر الشكر لدوام تلك النعم والمنن، وتقتضي حفظ وصيانة تلك المنطلقات كلها وذلك بالتحقق بها والتخلق بمقتضاها.

ذلكم هو منهج الرسالة القرآنية في تحرير الإنسان الرجل وتحرير الإنسان المرأة على حد سواء، لا فرق بينهما في ذلك كله إلا بالتقوى قال تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات : 13).

أ --3 – أن ينطلق من منطلق العدل الإلهي بين المرأة والرجل، عدلا يراعي خصوصية كل منهما،كما يراعي التكامل بينهما في الوظائف وغيرها:

لقد قرر القرآن الكريم هذا العدل وهذه المساواة التي تنبع من العلم الإلهي المطلق بالإنسان مادة وروحا، والعلم بما يصلحه وما يفسده، والعلم بقدراته والوظائف التي تناط به، لأن هذا العلم هو علم الله سبحانه وتعالى الذي:﴿ أحاط بكل شيء علما﴾(الطلاق : 12)، ولأن هذا العلم هو علم الخالق البارئ المصور الذي خلق كل شيء ومن ذلك الإنسان، قال سبحانه:﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾(الزمر : 62).

من هذا المنطلق القرآني الثابت قرر الحق عز وجل صورا عدة من هذا العدل الذي لا يماثله عدل ولا تدانيه مساواة، ومن تلك الصور ما يلي :

> **إن جوهر المشكلة هي أن العديد ممن ينادون بهذا التحرر، يريدونه تحررا من الدين وأحكامه وقيمه ومبادئه، من منطلق التبعية للآخر وثقافته وتقاليده في الحياة كلها، وهذا النوع من التحرر المشهود في واقع الأمة اليوم، ما هو في حقيقة الأمر إلا استعباد للمرأة المسلمة واستغلال لها، وتنكر لخصوصيتها ووظيفتها، وانسلاخ من دينها وهويتها الحضارية، وتقليد أعمى للغرب واتباع لثقافته الطينية الدنيوية**

– المساواة في المسؤولية عن العمل،فالمرأة مسؤولة عن عملها، تجازى عنه وتحاسب عليه تماما كالرجل، قال تعالى:﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض ﴾(آل عمران :195.

– ومن ثمار هذا العدل الإلهي المساواة في الدنيا بين المرأة والرجل المؤمنين في إحيائهما حياة طيبة، قال سبحانه وتعالى :﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة﴾(النحل:97)، والمساواة بينهما في الآخرة بالفوز بدخول الجنة، قال عز وجل:﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مومن فأولئك يدخلون الجنة﴾(النساء:124).

أ- -4- أن ينطلق من منطلق الرعاية المشتركة بين الرجل والمرأة للأسرة :

هذه الرعاية التي بموجبها يتحمل كل منهما المسؤولية الزوجية ورعاية البيت وتربية الأبناء على الإسلام والإيمان، قال ﷺ : (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم....)(1).

أ- -5 – أن ينطلق من الولاء المشترك المتبادل بين المؤمنين والمؤمنات على حد سواء، والقيام المشترك بالواجبات الشرعية نحو الله ورسوله،ونحو الدين والمجتمع والناس عامة، قال تعالى:﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾(التوبة:71).

ب- المنطلق الواقعي والإنساني يوجب تحرر المرأة من الواقع المشهود إلى الموقع المنشود :

إن تحرر المرأة اليوم التحرر الذي يمليه الوحي -كما سلف- هو التحرر الحضاري الذي يحفظ على الإنسان كرامته وإنسانيته، ويجلب له الصلاح ويدرأ عنه الفساد في المعاش والمعاد، ويحقق له الأمن الروحي والمادي على حد سواء.

ومن هذا المنطلق، فإن تحررا هذا شأنه تقتضيه الضرورة الواقعية وتستوجبه بشرية وإنسانية الإنسان المكلف بعمارة الأرض والاستخلاف فيها،قال تعالى:﴿ هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾(هود : 61).

2- **منطلقات دعاة التحرر المشهود للمرأة تقتضي التحرر من الدين:**

إن المعارضين للتوجه الحضاري ñالسالف-في التحرر الشامل للإنسان رجلا كان أو امرأة ينطلقون في تحررهم المزعوم مما تمليه عليهم المؤسسات الدولية، وقوى الاستكبار العالمي ،وآلهة الأهواء وشهوات الأنفس، وتلك فتنة عظيمة شرها مستطير يعم المؤمنين جميعا، وقد تكفل الله تعالى بعقاب هؤلاء الفتانين، قال تعالى : ﴿ إن الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾(البروج : 10)، فهذا مصيرهم وهذا جزاؤهم الموعود من الله تعالى ،وجزاء كل الضالين المضلين في أي زمان ومكان للناس عامة

ولعباده المؤمنين خاصة.

إن دعاة تحرر المرأة من الدين والقيم والأخلاق الفاضلة في هذا الزمان، ينطلقون من منطلق الشعور بأن عزتهم وتحررهم وتقدمهم في تقليد الآخرين واتباعهم، وأن الدين والفضيلة هما سبب التخلف والاستعباد.

هذه حقائق ينبغي أن يعلمها مسلمو هذا العصر في كل مكان، حتى يحدد كل واحد منهم حقيقة واقعه، وأين يتجه، وما الموقع الذي ينشده لنفسه وللمرأة المسلمة عامة.

فالتحرر المشهود اليوم الذي يدعو إليه هؤلاء، هو في حقيقة الأمر استعباد للمرأة وإفساد لفطرتها وبشريتها، وتضييع لكرامتها وإنسانيتها،بل هو إفساد للناس جميعا، إذ إفساد المرأة يفضي إلى إفساد البيت والمجتمع، فالمرأة عند هؤلاء إنما خلقت للمتعة والاستغلال والفساد والإفساد، وهذا المنطلق هو منطلق قوى الاستكبار العالمي في هذا الزمان من اليهود والنصارى،وكل من والاهم وسار على نهجهم في ذلك فهو منهم، نال رضاهم باتباعهم وتقليدهم في تفكيرهم وتعبيرهم وتدبيرهم، قال تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾(البقرة :119).

ذلكم هو منطلق دعاة التحرر المشهود، الذي يدعو إليه عباد العجل الذهبي في هذا الزمان وفي كل زمان، لأنه تحرر من الفطرة التي فطر الله عليها البشر جميعا، وتحرر من الدين وقواعده وأحكامه ومقاصده، وتحرر من قيم الإنسانية والكرامة البشرية، وتحرر من الحرية الحقة التي تجعل من الإنسان عبدا لله لا عبدا لهواه وشهواته ودنياه.

ثانيا : في المقتضيات:

ومن هاهنا فإن المشروع التحرري للمرأة المسلمة المعاصرة وللإنسان المسلم عامة يقتضي منا ما يلي:

أ- الإستقلالية التامة في الفكر والسلوك والقرار، والتبرؤ من التبعية لدوائر الاستكبار والاستعلاء في العالم، ومن هاهنا فإنه لا يمكننا أن نتحدث عن تحرر حقيقي شامل بمعزل عن الارتباط بهوية الأمة وثوابتها ومقدساتها الدينية، حيث إن أي تجاوز لها سيؤدي حتما كما هو واقع حال القوانين المستوردة والتشريعات الوضعية إلى التبعية ،ومن ثم إلى تشييء الإنسان المسلم وضياع عزته وكرامته، وفي مقدمة ذلك المرأة المسلمة حيث ستصبح مجرد سلعة للإغراء والإشهار دون كرامة، تماما كما هو واقعها المشهود اليوم في معظمه أحواله.

ب- وضع اليد على مواطن الخلل ومعيقات التحرر و التنمية بجرأة وجدية، والعمل على بلورة الحلول النظرية والعملية الناجعة بهدوء وروية، الحلول التي تنطلق من الذات وتهدف إلى إصلاح الذات، ذات الفرد والأسرة والمجتمع.

ج- أن يكون التحرر والتنمية شاملين، بحيث لا يقتصران على جوانب دون أخرى، تحرر للفكر والعقل من قيود التخلف والجهل وأغلال التبعية، وتنمية لهما بالعلم والمعرفة، وتحرر للنفس من قيد الهوى وتنمية لها بالتهذيب والتقويم والتربية والتعليم، وتحرر للذات كلها من كل التقاليد والموضات المخالفة للدين القويم , وتنمية لها بنور الوحي الرباني وهداياته الشاملة المانعة.

إن هذا التحرر يهدف إلى تحرر الإنسان ككل من الكلية إلى تحمل المسؤولية، وتحرره مما يعانيه من ضيق في معاشه بتنمية قدراته على الكسب الحلال ، وبتوفير وسائل العيش الكريم واستغلال ثروات البلاد أحسن استغلال ، وبالتخطيط الإداري الهادف للحاضر والمستقبل، وبالتوعية المستمرة بالاعتماد على الذات .

د- الدعوة إلى مراجعة صحيحة لمدونات الأسرة في بلادنا العربية والإسلامية، وإلى تغيير وتعديل جميع القوانين المستوردة من الغرب ، بما في ذلك قوانين المساطر المدنية والقضائية وغيرها ,وقوانين المعاملات المالية والاقتصادية، والقوانين التعليمية والاجتماعية، وقوانين النظم والولايات وغيرها، حتى تصبح جميعها إسلامية لا تتعارض مع ما جاء في دساتيرنا التي تقرر أن الإسلام هو الدين الرسمي لكل دولة من دولنا،حتى يكون التصرف على الرعية وفق ما تقتضيه المصلحة الشرعية .

رابعا: في منهجية العمل :

على المستوى المنهجي لا بد من العناية اللازمة بمسألة التربية والتعليم ، فإذا أراد أصحاب مشروع تحرير المرأة وإدماجها في التنمية، فليعلموا أن بوابة ذلك هي العلم والتربية، ومن ثم فلتتوجه إرادتهم إن كانت لديهم إرادة صادقة إلى الاعتناء بقضية التربية والتعليم، والدفع في إصلاح المناهج والبرامج حتى تتلاءم مع دين الأمة وحضارتها، وكذا العمل على توسيع دائرة التعليم ليشمل الجميع، فيتم بذلك القضاء على الأمية التي تستشري في صفوف الكثير من الشعوب المسلمة. .

وبموازاة الإصلاح الحقيقي للتعليم مناهج وبرامج ومؤسسات وأطرا ، لابد من العمل على إصلاح الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، ليكون إعلاما نافعا بناء خادما للعلم والمعرفة، محفزا على الخير والصلاح والإصلاح، إعلاما ينطلق من الدين ويعود إليه ،ويستقيم على منهاجه ليعم نفعه البلاد والعباد، لا كما هو عليه اليوم، فمثل هذا الإعلام إنما هو معول هدم لا بناء، وأداة تجهيل لا تعليم، ووسيلة تضليل لا هداية، فهو باختصار إعلام منحرف تائه ضال مضل في معظمه.

خامسا : في المقترحات والأهداف:

إن التحدي المطروح على عاتق كل الشرفاء والغيورين في هذا الوطن العزيز، وفي غيره من الأوطان المسلمة، يتمثل في الخروج من دائرة الكلام إلى دائرة العمل العلمي المنهجي الهادف، الذي ينطلق من الأصول والثوابت الحضارية للأمة، ويحترمها ويزن كل شيء بميزانها، فهذا العمل هو الكفيل بتحدي مشاريع التغريب والتبعية.

وفي هذا الإطار فإن واجب الوقت اليوم يوجب على ولاة أمر المسلمين من العلماء والحكام وعلى غيرهم من الغيورين العمل على إنجاز مشروع بديل لتحرر وتنمية الإنسان المسلم وفي مقدمته المرأة، هذا المشروع يهدف إلى إنجاز ما يلي، وذلك حسب ما تمليه الأولويات الكبرى الحالية وواجب الوقت.

إن دعاة تحرر المرأة من الدين والقيم والأخلاق الفاضلة في هذا الزمان، ينطلقون من منطلق الشعور بأن عزتهم وتحررهم وتقدمهم وتحضرهم في تقليد الاخرين واتباعهم، وأن الدين والفضيلة هما سبب التخلف والاستعباد. هذه حقائق ينبغي أن يعلمها مسلمو هذا العصر في كل مكان، حتى يحدد كل واحد منهم حقيقة واقعه، وأين يتجه، وما الموقع الذي ينشده لنفسه وللمرأة المسلمة التي هي إما أمه أو أخته أو بنته أو زوجه أو غير ذلك

أ- وضع قانون إسلامي شامل يعم جميع نواحي حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، حيث لا يقتصر العمل بقوانين الشريعة على ما يعرف بالأحوال الشخصية، حتى يصبح الإسلام هو المصدر الأول والأساس لكل تشريع وتقنين في مجال : السياسة والاقتصاد والاجتماع والمعاملات والتعليم والقضاء وغير ذلك من الولايات والمؤسسات التابعة للدولة والمجتمع.

ب- إنجاز مشروع جديد للتربية والتعليم والبحث العلمي يكون بديلا عن المشروع التعليمي المطبق حاليا، لأن التجربة أثبتت فشله، لأنه مشروع يفقد كل مقومات البقاء والاستمرار،ومنها مقومات الاستقلالية والهوية الإسلامية والخصوصية الوطنية، فالمشروع التعليمي المنشود يجب أن يستمد مشروعيته من واقع الأمة، وأن يستلهم مبادئه وبرامجه ومناهجه ومخططاته من تعاليم الإسلام ومقاصد شريعته السمحة، كما يأخذ الصالح مما هو حديث معاصر في كل ما يعم نفعه البلاد والعباد عملا بقاعدة: "جلب الصلاح للناس ودرء الفساد عنهم"، فيكون بذلك مشروعا تعليميا علميا حضاريا جامعا بين الأصالة والمعاصرة معا.

وقبل هذا ومعه وبعده لابد من ربط الناس والمجتمع بالقرآن الكريم ربطا مباشرا، وذلك بتيسير سبل تداوله الاجتماعي بين الناس، وبجعله من الأصول التي يعتمد عليها النظام التربوي في جميع مراحله وأسلاكه وتخصصاته، حتى يكون جميع المتعلمين كبارا وصغارا ذكورا وإناثا على صلة بالقرآن وثقافته وعلمه وأخلاقه.

وبهذا يمكننا أن ندعي التحرر والتنمية والتحضر للمرأة الإنسان والرجل الإنسان، فالتعليم القائم على الهوية الحضارية الأصيلة،والمنهجية الراشدة، والعلمية الراسخة،والبرامج الرصينة،هو مفتاح التحرر والتنمية،ومفتاح التقدم العلمي والعمران البشري والشهود الحضاري للأمة، وبدون ذلك يبقى الإنسان هو الإنسان كما هو الآن وتبقى الأوطان هي الأوطان تماما كما هي عليه الآن.

ج - إنجاز مشروع بديل للتنمية الاقتصادية، يعتمد أساسا على قدراتنا وطاقاتنا، وعلى الاستغلال الحر والفعال لثرواتنا المتعددة والكثيرة.

وهنا يلتقي التعليم والبحث العلمي مع التنمية الشاملة، فلا تنمية بدون علم وبدون بحث علمي، ولا تنمية ما دام المغرب يجتر سياسات التيه والضلال في التعليم والاقتصاد والتشريعات والقوانين وغيرها.

وبهذا يكون المشروع البديل مشروعا يتحدى كل المشاريع المتغربة المنقطعة الصلة بديننا وهويتنا الحضارية، ووطنيتنا المستقلة ،وكرامتنا الإنسانية، ألا فاعتبروا يا أولي الأبصار، قال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد : -11 14).

1- فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث رقم: 10.7138

15 ربيع الأول 1431هـ - 02 مارس 2010 م- العدد : 335

خاص بالمشتركين

■ فاطمة علاش - سيدي اسليمان.
■ راجية خالد -فاس
■ إلهام ولان -سيدي اسليمان.

الجريدة ترجع إلينا فالرجاء تصحيح العنوان أو موافتنا بعنوان جديد. وشكراء

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :
■ داخل المغرب : 60 درهما.
■ خارج المغرب :
20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :
■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014
■ أو الأستاذ **المفضل فلواتي** على الحساب البريدي رقم :
P 11329 الرباط.

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات فاس - المغرب

كيف يبني الإسلام أسرة صالحة؟

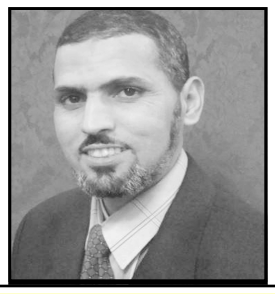

ذ محمد بوهو
al_qalsadi2006@hotmail.com

مدخل:

يمكن اعتبار الأسرة الصالحة، اللبنة البسيطة الأولى في البنيان الاجتماعي الإسلامي. وهي بهذا الموقع تملك دورا من الأهمية بمكان في تحديد التماسك الاجتماعي وقدرة المجتمع ككل على تحقيق أغراض ومقاصد الرسالة الإسلامية.

وإذا أردنا تسليط الأضواء على عناصر القوة في المجتمع المسلم فإن الأسرة المسلمة تتصدر قائمة تلك العناصر إضافة إلى المسجد والفعاليات الجماعية والمؤسسات الدائمة في الوجود الاجتماعي للمسلمين..

ونستطيع تلمس موقع الأسرة بدقة من خلال التعرف على حجم التفاصيل الشرعية والفقهية التي توفرت عبر السنين في كتب ودراسات الشريعة والتي تتعلق بالأسرة، وتبحث مختلف أبعادها، وبدءا من طريقة تكوينها وتفاصيل رعايتها وتوفير مقومات الدوام فيها، وانتهاء بالشروط الصعبة التي فرضها الإسلام على من يريد تفكيك عُرى هذه المؤسسة الربانية المقدسة..

ولكي نقترب من فهم ما نتصوره أسرة صالحة، ينبغي لنا أن ندع جانبا التصور الشائع والمبتذل الذي يأتي ذكره في المجالس أحيانا أو نرى مصادر الثقافة الاعتيادية أو الأفلام الرخيصة تردد: امرأة جميلة في مقتبل العمر، ورجل وسيم صحيح الجسم، وكمية كبيرة من المال وبيت واسع وسيارة فارهة وعدد من الخدم والحشم.. كل ذلك الركام يترك انطباعات خاطئة في أذهان عامة المسلمين وخاصة الشباب المقبلين على الزواج، بأن السعادة والصلاح في الأسرة لا يتحققان دون توفر هذه المقومات الأولية!..

فبدلا من ذلك التصور نضع في ذهننا المقدمة الأساسية التي تؤكد على أن"الأسرة الصالحة" وحدة للحياة الاجتماعية لمجتمع الإسلام، تستمد تصوراتها وغاياتها من منبع الغايات والتصورات الإسلامية وهو الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وإن رسالة الإسلام في الحياة الفردية والاجتماعية ذات مغزى واحد، وهو تحقيق عبادة الإله الواحد الأحد، في مختلف فعاليات تلك الحياة وعلى مختلف الأصعدة..

ومن هنا فإننا هنا نبحث في بناء الأسرة الصالحة ضمن هذا التصور ووفق تلك المقدمات وانطلاقا من هذه المرجعية..

1- في الأسرة الصالحة تتخلق المودة والسكينة:

نتصور أن الأسرة الصالحة هي جو وظرف زماني- مكاني يشترك رجل وامرأة في بنائه لكي يتم ضمنه تحقيق عبادة الله تعالى وتطبيق أحكامه في مختلف أوجه ونشاطات الحياة. ولكي يكون لذلك التركيب البسيط دوره الجماعي- الاجتماعي أنيطت به مسؤولية الإنجاب وتكثير أفراد المجتمع ورعاية الفرد الجديد في سني حياته الأولية كي يكون دَمًا جديدا يسري في عروق المجتمع القائم، يضخ خطوة إلى الأمام بما يمتلكه الفرد الجديد من فاعلية ونشاط وفتوة..

فليست الأسرة إذن وفق هذا المنظور بيتا وثيرا أو فراشا دافئا أو مائدة عامرة. نعم! قد تكون هذه متيسرة ومتوفرة ولكنها ليست مقدمة لازمة لنجاح الرجل والمرأة في تحقيق غاية اجتماعهما أو تعاقدهما على العيش سوية. فإذا أمعنا النظر أكثر وجدنا أن من وظائف الأسرة الأساسية تحقيق المودة والرحمة كشعور وحالة يريد البارئ عز وجل أن يتوفر على الصعيد الفردي في حياة كل أفراد المجتمع، كبارا وصغارا، ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(الروم : 21)، لذلك خُلق الرجل والمرأة، كل بمواصفات مختلفة وجعل بينهما من عرى التقارب الفطرية المغروزة في كيان كل منهما ما يجعل من مشاعر السكينة والمودة ثمارا طبيعية للمشاركة والمعيشة السوية، وظرفا تربويا هاما يصلح لاحتضان النشء وممارسة العملية التربوية على الوجه الصحيح والسليم..

ولقد أراد البارئ عز وجل لعش السعادة الزوجية هذا أن يحظى بجو قدسي سماوي ليكون حقا مرتعا للخيرات ومنبعا لأفضل الأعمال والأخلاق، وتخريج الأمناء الأقوياء، ففرض على الرجل والمرأة شروطا ينبغي أن يأخذا بها، وأخرى تركهما حُرَّين في عملها وتركها ولكنه رغّبهما فيها وجعل له أجرا إضافيا وقيمة أرقى وأرفع.

فمما فرض عليهما قبل الزواج أن يتجاوزا عمرا معينا افترض أن ما قبله لا يؤهلهما لهذه المسؤولية الكبيرة. ومنع كذلك تزويج المجنون، وصاحب العاهة المستديمة التي تمنعه من تأدية دوره وإنشاء الأسرة التي تكون وسطا يشجع على الخيرات ومرتعا للصالحات ولبنة صالحة لبناء مجتمع يتمتع بمناعة قوية أصيلة..

2- الأمور الوراثية:

لم تكتف الشريعة بتلك الأوليات ولكنها عيّنت مواصفات للزوجة الصالحة كان بعضها متعلقاً بكرم وطيب الأصل والعائلة لحكمة يعلمها الله تعالى تتعلق بتأثير الوراثة على بعض الصفات النفسية والخلقية وحتى الجسمية، فحاول التقليل من دور هذا العامل الذي يمكن السيطرة عليه فيما بعد وذلك باجتناب بعض الزيجات التي تضخم دوره وتعطيه أثرا أكبر، فحادّ الغضب أو صاحب المرض الوراثي المُعَيَّن مثلا سيكون حظه أكبر إذا بحث عن شريكة لحياته لا تعرف أسرتها حدة الغضب أو ذلك المرض المعين. وليس المقصود بكرم الأصل أن النساء من العوائل المعروفة أقدر من غيرهن على توطيد أركان أسرة سعيدة، فربما يكون الأمر بالعكس، ولكن كرم المنبت يعني أن تكون الأجواء التي عاش فيهما الزوجان (وليس المرأة فحسب) أجواء خالية من المتاعب أو الابتعاد عن الدين وروح التدين، ولم تتخلل فترة طفولة الفتى أو الفتاة ظروف عائلية مؤثرة على تكوينهما النفسي كأن يكون أحد أفراد الأسرة معروفا بالإجرام أو الخلق الفظ والخشونة..أو غيرها

3- التدين قبل الزواج أم بعده؟:

ويجرنا هذا إلى بحث مسألة طالما ذُكرت عندما يأتي الحديث عن الزواج والأسرة، وهي اشتراط التدين في طرفيها قبل الزواج وجعله مقدمة لبناء أسرة صالحة. وقد حث الإسلام على قيمة هذا النوع من البداية في طريق بناء الأسرة الصالحة، ولكن ظروف المجتمع العربي والإسلامي اليوم تجعل تحقيق هذا الشرط قبل الزواج طموحا أكثر منه بداية، وهدفا أكثر منه منطلقا. ولا بد من الاعتراف أنه بالرغم من أن نتيجة مثل تلك الزيجات غير مضمونة تماما إلا أنها من الوسائل الناجحة لتوسيع دائرة الدعوة إلى تطبيق الإسلام وتحسين التدين، فكم من زوج نجح في التأثير على زوجته ضمن ظروف ((العائلة)) التي يتم تكوينها، وكم من رجل لم يمتلك إلا التنازل عن معاصيه والالتزام بمتطلبات الشريعة عندما وجد كيف يؤثر الإسلام على الإنسان متمثلا بزوجته وأخلاقها العالية وذوقها الديني السامي..

ويحاول بعض المتأثرين بالغرب، من الذين استمرأوا مذاق الإباحية والتبذل الشائع فيه، انتقاد أدب وفرض الإسلام في منع الاختلاط قبل الزواج دون عقد شرعي بين الزوج وزوجته. فهؤلاء يفترضون أن مما يضمن قوة الأساس في هذه العائلة، ويسهم في نجاحها ((كأسرة)) هو تعرف الزوجين على بعضهما بالتفصيل قبل الزواج.

لقد أجازت الشريعة لمن يروم الزواج النظر إلى وجه من يريد خطوبتها، وأجاز بعض العلماء حتى النظر دون الحجاب، كما أوجبت على أهلها الكشف عن أي عيب جسمي وعاهة، وأجازت إنهاء الزواج والعقد إذا انكشف مثل ذلك العيب بعد العقد، وافترضت على من يقوم بالتعريف بين الخاطبين توضيح هذه الجوانب بالتفصيل، كل ذلك ضمانا لتأسيس بيت سعيد صالح لا تحوم فيه الشكوك ومشاعر الأذى التي تتبع ظهور مثل تلك المعايب بُعيد الزواج..

أما على صعيد التعرف على عقلية وطريقة تفكير زوج أو زوجة المستقبل فإن السؤال من الأقارب والمعارف كاف لتحقيق حد أدنى من التقييم يعاون على اتخاذ قرار أولي، وبالإمكان أن يلتقي الإثنان بحضور بعض أصدقاء أو أقارب الطرفين لتكوين صورة أقرب وأدق عن بعضهما.

لقد ضمن الإسلام نجاح الزواج بهذا القدر من المعرفة المتبادلة بناء على افتراض أن المقصود من ((الأسرة)) ليس هو المتعة الجسدية أو تحقيق قدر أكبر من التنوع في وجبات الطعام أو لكي تفخر زوجة المستقبل بزوجها الذي له المنصب الفلاني، أو يمتلك الجاه أو الأموال الطائلة، فإن كل هذه الأوصاف لا أثر لها في إيجاد أسرة صالحة افترض الإسلام أن قوامها طاعة الله تعالى والتعاون على تحقيق أكبر قدر منها من خلال الألفة والمودة والرحمة وجو المشاركة الدائم الذي تهيئه عملية الزواج. ولقد بارك رسول الله ﷺ زيجات الصحابة والتابعين، كما ضرب هو نفسه مثلا أعلى في تحقيق هذا الفرض الأساسي من الزواج والتساهل في أمور المعيشة وغنى أحد طرفي الزواج مقابل فقر الآخر..

4- الأعراس بين الجدية والمرح:

عندما ينعقد الزواج وتكون كل تلك المقدمات التي شرعها الإسلام قد أخذت دورها في تحديد من يتزوج من وكيف.. تبدأ تلك الوحدة الاجتماعية في محاولة تحقيق هدفها مدفوعة بأجواء القدسية التي فرضتها الصيغة الشرعية للزواج، ورغم أن كثيرا من مناسبات الزواج قد فُرضت عليها أجواء من اللهو والتبذير وبعض الأعراف البعيدة عن الدين وذوقه السامي الذي يشجع على نوع معين من التسلية البريئة الحلال، ورغم ذلك التشويه تبقى مناسبات الزواج تعبيرا عن عقد شرعي مقدس ترتبط من خلاله روحان وجسدان برباط ديني وسماوي لتبدأ معا رحلة التكامل والنضج النفسي والعقلي، والتعرف سوية على كثير من تجارب الحياة وما تحمله من تحد وإثارة كأشكال الفشل والنجاح، وألوان الربح والخسارة في الدارسة والتجارة. كذلك توفر أجواء الأسرة الإسلامية فرصة للتذوق المشترك لكثير من التجارب الفريدة في تاريخ الإنسانية، كتجربة ولادة طفل جديد بعد شهور من الحمل المتعب وما يعقب الولادة من متابعة مراحل نمو الوليد الجديد التي تذكر الزوجين بطفولتهما الأولى وتشدهما أكثر إلى والديهما ويزداد إحساسهما بالفضل لهما مقابل ما بذلاه من تربية وعناية حين كانا لا يقدران على أمرهما من شيء..

5- توزيع الأدوار ضمن تصور واحد:

رغم أن الأسرة التي تتبنى القيام بدورها في العملية الاجتماعية التي تجري من حولها، تندفع إلى ذلك من خلال شعورها الملقى على عاتق طرفيها انطلاقا من التوجيه النبوي الشريف: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» إلا أن الاندفاع التلقائي الطبيعي غير المصطنع الذي تفرضه أجواء الأسرة والأطفال والجيران ومختلف متطلبات المعيشة والتربية والمدرسة.. يجعل من تلك المهمة عيشا يوميا يسيرا، ويفتح مختلف المجالات لممارسة أخلاق وآداب الإسلام على مختلف الأصعدة ومختلف الظروف. ففي مثل هذه الأجواء تنتشر أعراف الإسلام دون قصد، وتشيع فروض الدين دون مغالاة أو تكلُّف..

وربما كان من أهم أسباب ذلك ما فرضته الشريعة من (التخصص) ضمن نطاق الأسرة، يكون بمثابة توزيع الأدوار، فرب العائلة القيّم عليها هو الرجل وهو المسؤول عن ممارسة التربية الأبوية

إن مؤسسة ((الأسرة الصالحة)) هي وحدة وجود وتماسك المجتمع نفسه وأي تجاوز لها في عملية الرعاية والضمان للحقوق في الوجود الإسلامي، أو تقليل لشأنها ستعود بالعاقبة الوخيمة ليس فقط على فردين في مكان ما من المجتمع وإنما يمتد أثرها إلى كافة مؤسسات وتراكيب المجتمع..

اليوم العالمي للمرأة والدور المطلوب

وإعالة زوجته وأطفاله والقيام بتوفير متطلبات المعيشة الكريمة لهم، بينما فرض على الزوجة تنشئة الجيل الجديد وإعطائه شكل الإسلام وروحه من خلال العناية والتغذية والقرب التي تفرضه علاقة الأمومة الحميمة بالوليد الجديد..إضافة إلى توفير السكن الفطري للزوج والذي جبلت عليه الأنثى منذ خلقها الله تعالى : ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾.. وتوزيع الأدوار كان مبنيا على عدة أسس منها وظيفي خلقي، إذ هيأ الله تعالى لفردي الأسرة تنوعا واختلافا في تركيبهما الجسماني والنفساني وهيأ كلا منهما لعمل يختلف عن الآخر ولكنه يتكامل معه لتحقيق غرض الأسرة الأول. ولم يجعل لذلك الاختلاف في التخصص قيمة معنوية أو شرعية مختلفة بل وعد الزوج والزوجة أجرا وتقديرا متساويا ومتوازيا مع مقدار ما يبذله كل منهما في إطار الشريعة من جهد لإسعاد الآخر، وتحقيق تكليف الله تعالى له، فقال عز من قائل: ﴿من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة..﴾.

ولما كان بناء الأسرة الصالحة لا يعتمد على مقومات قبل الزواج فحسب بل يتطلب إمدادا دائما أثناءه، وكان من أخطر عناصر ذلك الإمداد هو استمرار المشاركة والتفاعل وتبادل الرأي والشورى.. وقد تدخل الرسول ﷺ مرات عديدة في ما يسميه البعض في الوقت الحاضر ((الحياة الشخصية)) لبعض الصحابة ومنعهم من الاستمرار في إهمال أمر أسرهم بحجة الرغبة في تركيز العبادة مثل الصوم المستمر أو الاعتكاف، وكان حديثه المشهور الذي قال فيه: «..أما أنا، فأصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني..»(الحديث)، فمن لم ترقه سنة الرسول ﷺ هذه فليس له الحق في مجتمع المسلمين ولا ينتسب إليهم. لقد وضع الرسول ﷺ في هذه الممارسات عنصر (التوازن) في التربية والممارسة على ضوء التعاليم الإسلامية في موضعه المناسب وذلك بتوضيح أنه هو المجسد والممثل الحقيقي للدين حين تطبيقه، وأن عمله هذا الذي قد يحسبه المتحمسون للرسالة الجديدة آنذاك تضييعا للجهاد وتركا للفروض المهمة التي يقوم عليها الدين، هو في الحقيقة من أسس إقامة المجتمع المتماسك الذي سيقوم بالجهاد سوية فيما بعد، برجاله ونسائه المتخرجين من أُسر متماسكة وحصينة ومنيعة، فبدون ذلك التماسك والأواصر العميقة بين أفراده سوف لن يستطيع مواجهة تحديات العولمة التي تريد تمييع وتضييع دور هذه المؤسسة الأصيلة في المجتمع بالمؤتمرات_المؤامرات المتوالية والمتنوعة..

وبمستوى تلك الروح وتجسيدا لبعد النظر نفسه جعل الإسلام الكد والكدح في سبيل توفير متطلبات العيش للأسرة بمستوى الجهاد في سبيل الله، وذكرت العديد من الأحاديث أن حق الأبناء يصل إلى حق الدفاع عن وجود المجتمع واستقلاله. ولعلنا لا نستطيع أن نتصور كيف يمكن أن يكون تشريع الإسلام قائما على المساواة بين حقين ومستويين مختلفين من المسؤولية بهذا القدر؟.. ولكي نجيب عن ذلك التساؤل نعود فنذكر أن مؤسسة ((الأسرة الصالحة)) هي وحدة وجود وتماسك المجتمع نفسه وأي تجاوز لها في عملية الرعاية والضمان للحقوق في الوجود الإسلامي، أو تقليل لشأنها ستعود بالعاقبة الوخيمة ليس فقط على فردين في مكان ما من المجتمع وإنما يمتد أثرها إلى كافة مؤسسات وتراكيب المجتمع..

ويمكن بسهولة تصور هذا الأثر إذا نظرنا إلى المجتمعات اللاإسلامية التي حوَّرت دور الأسرة من مؤسسة ووحدة بناء المجتمع إلى ((حياة شخصية خاصة)) لفردين من الأفراد، وبهذا نرى أن تنازل المرأة عن دورها أو بالأحرى إجبار المرأة على التخلي عن هذا الدور، قد أدى إلى نشوء أجيال من المتخلفين نفسيا وعقليا. أما تقليل دور العائلة على صعيد توفير جو من الطهارة والعفة يحيط بعلاقات الجنسين، فقد أدى إلى ولادة آلاف من الأبناء غير الشرعيين الذين لا يجدون من يعتني بهم ويوفر لهم أبسط مستلزمات الاستقرار النفسي أو الأصالة في الوجود في ذلك المجتمع الذي ولدوا فيه، فضلا عن شعورهم بالتيه لا أصل لهم ولا تاريخ يُعَرف عن آبائهم.. ولا ننس العواقب الوخيمة للإباحية الجنسية والأمراض التي تنتقل وتنتشر في تلك الأجواء، ودور الأسرة في التحصين من كل ذلك..

6- آخر الدواء الكي :

ولقد علم الإسلام ومُنزلُه، أن ذلك البناء الشامخ قد يتصدع أحيانا لما جبلت عليه النفس البشرية من ضعف تجاه الأهواء، ولما قد تحمله التربية والظروف المختلفة من آثار بحيث تجعل من اجتماع ذنيك الفردين في أسرة غير ممكن فأجازت الشريعة الطلاق ووضعت أصوله وآدابه، وافترضت أن تحاول الأسرة تلمس شتى السبل قبل اللجوء إلى ذلك الطريق المسدود. وهكذا كان الطلاق﴿أبغض الحلال عند الله﴾ تعبيرا عن قدسية الأسرة وما يجري في أحشائها من المحافظة على المجتمع ككل. ولهذا أيضا سمح للمطلقين بالعودة عما سلف وأجاز لهما الرجوع إلى حظيرة ذلك التجمع العائلي المقدس..

7- تفاؤل وأمل على الطريق :

ولم تكن الشريعة الإسلامية السمحاء ليسمح لها منزّلها أن تكون خاتمة الشرائع إذا لم تكن بمستوى ملء الحاجات الجسمية والنفسية والجماعية لجميع أفراد المجتمع، وبذلك التصور يصبح بناء الإسلام الاجتماعي قادرا على مواجهة المصاعب التي فشلت الحضارات المادية في مجابهتها.

وما نراه في مجتمعاتنا من تساهل وابتعاد عن تفاصيل الشريعة وأحيانا عن روحها، قائم على الجهل بتلك الحقائق والسير الأعمى وراء آمال عريضة بحياة سعيدة بتوفير مستحضرات ومخترعات لا تغني من اخترعها ولم تحل له مشاكله..

ويبقى أمام المسلمين مواجهة أنفسهم والبحث عن أسباب السعادة والصلاح من خلال دينهم وتراثهم بعيدا عن بهرجة وألوان الزيف الذي تصبغ الحضارة المادية نفسها به، والعمل على بناء أسرهم اعتمادا على مقومات الصلاح التي بينتها لهم كنوز المعرفة الاجتماعية العميقة التي وفرتها لهم مدرسة الإسلام العظيمة ورسالته الإنسانية..

لقاء تواصلي لفائدة الخطباء والوعاظ والواعظات بمدينة فاس

عقد المجلس العلمي المحلي لفاس يوم 6 ربيع الأول 1431هـ/ 21 فبراير 2010م، دورة تكوينية جمعت الخطباء والوعاظ بمدينة فاس على مائدة علمية في إطار التكوين المستمر للقيمين الدينيين وتأهيلهم علميا وخلقيا ومنهجيا.

وقد افتتح الندوة الأستاذ حسن الطالب بآيات بينات من كتاب الله عز وجل عقبتها كلمة توجيهية للسيد رئيس المجلس العلمي العلامة عبد الحي عمور لتنطلق أشغال الندوة بكلمة الدكتور الشاهد البوشيخي نوه فيها بالدور الكبير والمسؤولية العظمية والشرف الكبير للقيميين الدينيين اختار لها عنوان : «مقدمات ممهدات في شأن تكوين القيم الديني».

وفي الجانب المنهجي بين الدكتور عبد الحميد العلمي أهمية «التكوين المنهجي للقيم الديني» وما يلزم التسلح به من مناهج الفهم والاستنباط السليم للنصوص الشرعية وتوظيف مقاصد الشريعة في الفهم والتنزيل.

أما الدكتور عبد الحق ابن المجدوب الحسني فركز على دور التحلي بالأخلاق والالتزام بحسن الآداب والسلوك في نجاح الداعية خطيبا وواعظا في أداء رسالته، وذلك في مداخلة تحت عنوان : «خلق القيم الديني». كما قدم الدكتور الحسين گنوان في كلمة حارة أراد من خلالها التنبيه إلى خطورة الاستهانة بعلوم اللغة العربية التي هي لسان الخطيب وآلة بيانه وإقناعه اختار لها كعنوان : «التكوين اللساني للقيم الديني» لافتا النظر إلى ضرورة العناية بالمكون اللغوي في تكوين القيم الديني.

وبخصوص : «التكوين العلمي للقيم الديني» قدم الدكتور محمد بن عبد الوهاب أبياط عرضا مفيدا بيّن فيه أهمية التكوين العلمي للقيم الديني والعلوم الضرورية التي يلزمه الإحاطة بها لتوظيفها في عمله.

وستعمل المحجة على نشر أشغال هذه الندوة كاملة في عدد مقبل بحول الله.

● تابع الندوة وأعد التقرير : عبد الحميد الرازي

مواقف وأحوال

رجل يُستشهد بين الصلاة وقراءة القرآن

رحمك الله يا ذا النورين، كم في حياتك من المواقف الجليلة، والأحوال الصادقة، وإن من أعجب مواقفك، وأصدق أحوالك، حال استشهادك!.

إن عثمان -أيها السادة- مات في بيته، وبين أهله، ولكنه مات شهيدا، لقد ظلم عثمان ﷺ ظلما شديدا، وولغ في دمه شباب فجرة، واعتدى عليه فسقة جهلة، فقتلوه ﷺ، لكن على أي حال استشهد أمير المؤمنين عثمان ﷺ!.

كان لعثمان ﷺ طيلة أيام الحصار مفزعان يفزع إليهما، وبابان يدخل على ربه منهما، ويتحدى المجرمين من خلالهما. أما أولهما فالصلاة، وأما ثانيهما فقراءة القرآن في المصحف الشريف!.

كان عثمان يؤنس وحدته بالصلاة، ويطرد وحشته بكتاب الله، وما كان يلقي بالا لأولئك الأوباش من الناس، وقلبه مطمئن بالله، قال ابن كثير رحمه الله في معرض حديثه عن مقتل سيدنا عثمان ﷺ «...ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إ لى بيوتهم، فلم يبق عنده أحد سوى أهله، فدخلوا عليه من الباب ومن الجدران، وفزع عثمان إلى الصلاة، وافتتح سورة طه، فقرأها والناس في غلبة عظيمة، قد احترق الباب والسقيفة إلى عنده... ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف، وهو يتلو هذه الآية : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾»(1).

وقال ابن كثير أيضا : "وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى : ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ ويرى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة، أيضا حين دخلوا عليه، وليس ببعيد، فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن"(2).

هكذا استشهد عثمان -أيها السادة- وهو يقرأ القرآن، والمصحف بين يديه، وقد فرغ من الصلاة لتوه، وذلك يعني -من بين ما يعني- أن سيدنا عثمان ﷺ لم يكن حاضرا في بيته إلا بجسمه، أما روحه فقد كانت في علياء، وما كان دخولهم عليه، وعزمهم على قتله بالشيء الذي يمكن أن يهتم به عثمان، فهو عنده أمر تافه لا يأبه له ، ولا يستحق أن يشغل به باله، أو يغير من أجله برنامجه، وينزل من عليائه التي صنعها الإيمان، ورباها القرآن، وسقتها الصلاة.

إن عثمان بصلاته وقراءته القرآن كان مع الله بروحه، ومع الناس بجسمه، فلا قيمة لهذا الجسم إلا بمقدار ما خدم القرآن! وإلا فهو كتلة من اللحم والعظام، إن تأكلها الديدان اليوم أكلتها غدا، قال ابن كثير رحمه الله "ثم دخل عليه آخر -من أولئك الأشقياء- ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها، فقيل إنه أبانها، وقيل إنه قطعها ولم يبنها، إلا أن عثمان قال : "والله إنها أول يد كتبت المفصل"(3) فالذي يذكره عثمان ﷺ من أمر يده إنما هو عملها الذي قامت به في خدمة القرآن. أما كونها يده فلا يهم، وأما ألم قطعها فلا قيمة له، ليس لأن سيدنا عثمان ﷺ لا يحس ولا يشعر، وإنما لأن الرجل يحس بحلاوة قرآنية أقوى من الآلام، ويشعر بلذة تعبدية أعظم من قطع يده، إنها لذة الصلاة وحلاوة القرآن.

وهذا ما نحتاجه اليوم أيها السادة، وبالجد والصدق سنبلغ كما بلغ هؤلاء الأخيار رحمهم الله.

1- البداية والنهاية 185/7 2- البداية والنهاية 183/7
3- البداية والنهاية 185/7

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

مِنَ الغَيِّ العَلْمَانِي إِلَى الرُّشْدِ الإِسْلاَمِي ..؟

عبدالكريم القلالي
أستاذ بالتعليم العتيق
Karim_kallali@targuistcity.net

العلمانية المتطرفة: تنكر وجود الله، وتحارب الأديان، وتكفر بالغيب.

والعلمانية المعتدلة هي التي تقول: بنفي الدين عن الحياة.

وأولى الترجمات بالعلمانية في العربية: " اللادينية"؛ فهي قائمة على نبذ الدين وإقصائه من الحياة، في الحكم والاقتصاد والتعليم والأدب والإعلام...، وهذا الإقصاء مرده إلى الظروف التي مرت بأوروبا حين سيطرت الكنيسة الجائرة على مختلف مناحي الحياة، والتي كانت مشوهة تلصق بالدين زورا وبهتانا. هَمُّ أحبارها ورهبانها الحفاظ على مصالحهم في الحياة، مستغلين سذاجة الأوروبيين، الذين لم يكونوا يستطيعون تصحيح أي من المفاهيم الخاطئة.

وفرضت الكنيسة عليهم العقائد الباطلة التي لا تتفق مع نقل ولا عقل؛ كعقيدة التثليث؛ وعقيدة الخطيئة الموروثة، والصلب والفداء، ومهزلة صكوك الغفران.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل أنشئ الغول البشع، والشبح المرعب، (محاكم التفتيش)؛ تلك المحاكم التي عملت على إبادة المسلمين، أو المخالفين لآراء الكنيسة.

ولهاته الأسباب وغيرها صح لهم نبذ دينهم -المختلق من أحبارهم ورهبانهم- عن الحياة؛ لأنه كان رمزا للتسلط، والتجبر، والطغيان، والجهل والخرافة، ومحاربة العلم؛ فكان عائقا يعرقل سير الحياة ويمنعهم حتى من التدبر والتفكر، والرضا بالظلم؛ وكانت الكنيسة تقول لهم : «من خدم سيدين في الحياة الدنيا خير ممن خدم سيدا واحدا».

بل وبلغ الحد لدى رجال كنائسهم إلى إصدار الأوامر بإحراق من قال بكروية الأرض.

وتركت أوروبا الدين وتحللت من كافة الآصار والأغلال التي فرضتها الكنيسة ورجالها؛ وحق لهم ذلك؛ لأن ذلك كله لم يكن دينا منزلا من عند الله؛ بل كان منهجا وضعه الأحبار والرهبان؛ لتحقيق المكاسب والمصالح؛ فساغ لهم أن يتحللوا عن الدين؛ لأنه ليس دينا حقا.

وكانوا لا يميزون بين الدين و"رجال الدين"؛ فكان الأحبار والرهبان عندهم آلهة من دون الله يحلون الحرام ويحرمون الحلال؛ تماما بتمام وحذو القذة بالقذة كما أقر النبي [بذلك عدي بن حاتم، فكانوا يعتبرون ما يصدر من رجال الدين من أقوال وأفعال من الدين ولو كانت ضد الدين!.

وانقسموا بسبب هاته التعاليم الجائرة إلى سادة وعبيد، سادة هم أصحاب الجاه والسلطان، وعبيد مأمورون ليس في أيديهم جاه ولا سلطان، مسخرون -طوعا أو كرها- لمصلحة أصحاب السلطان.

وبعد هذا التحلل من الآصار والأغلال التي ابتدعها أحبارهم ورهبانهم؛ ظهرت هنا وهناك طوائف من العلمانيين أو اللادينيين تكفر بالدين وتحاربه؛ كمثل ما فعل اليهودي كمال أتاتورك الذي اضطهد العلماء، وأغلق المساجد، وأجبر الشعب على تغيير الزي، وشجع على الدعارة والفجور....

وظهرت دعوات أخرى قريبة من ضرتها الأولى تنادي بفصل الدين عن الحياة؛ زعما من أصحاب هاته الدعوات؛ أنهم سيحققون للشعوب الرقي والازدهار؛ وما دروا أن ما نبذته أوروبا ليس بدين وأن دين الإسلام الذي يدعون إلى فصله عن الحياة هو الدين الحق المنزل من عند الله المحقق للتنمية البشرية في مختلف مناحي الحياة، وهو محفوظ من كل عبث أو طيش.

والفرق بينه وبين ما تركه الأوروبيون: أن ما تركوه ليس بدين حق؛ بل هو منهج بشري موضوع. وديننا الإسلامي منهج إلهي معصوم؛ وهاته الحقيقة لا يقرها العلمانيون ولا يريدون أن يصدقوها ولا حتى أن يسمعوها؛ لأن ذلك يعني تخطئتهم في دعواهم لفصل الدين عن الحياة، وما يزالون في سكرتهم وغيهم يعمهون؛ يسوقون للناس هذه الدعاوى التي يركزون فيها على تحطيم القيم والأخلاق وإشاعة الإباحية، والانحلال، وازدراء العفة والعفاف، وسخروا كل الوسائل المتاحة بإيعاز من مسخريهم لتحويل الآدميين إلى دواب منسلخة عن أي قانون أو نظام.

ويتعامون عن سمو الإسلام حقدا وحنقا وغيظا؛ لما فيه من العلم والهدى والنور، والمدنية المهذبة الراقية الخفاقة بعمارة الكون وتنمية الحياة، و(حضارتهم) اليوم قائمة على أنقاض حضارة هذا الدين أيام تطبيقه في حياة الناس؛ والذي بلغ المسلمون يومه شأوا يعجز البيان عن وصفه.

ولم يجازف العلماء الذين قالوا: «إن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه لم يدشن في مدن أوروبا النصرانية، ولكن في المراكز الإسلامية: فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة».

ولا غرو فهو الدين الإسلامي الذي تضمن آيات العلم المتعلقة بالآفاق والأنفس؛ ومنح التوازن للإنسان؛ لتستقيم الحياة بين مصالح الدنيا والآخرة، ولبى متطلبات الروح والجسد، ودعا إلى تزكية الروح وتهذيب قوة الوجدان، وإحقاق قواعد العدالة والإنصاف، وسوى بين جميع البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، إلى غير ذلك من المميزات والسمات التي لا تجدها في غير أحكامه وتعاليمه التي تتضمن الهداية وتحقق للنفس الأمن والطمأنينة، وتدفع عنها كل وسوسة، وتجيب عن كل تساؤل، وتزيل كل إشكال.

وقد منحنا الله العقل وأمرنا بالتفكر والتدبر ولم يجبرنا على شيء وترك لنا حرية التمييز بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشر، وأمدنا بالعقل والبصيرة؛ فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر.

ومن شاء سلك طريق الرشد فقاده إلى الحق والهدى، ومن شاء سلك سبل الغي فقادته إلى الشر والبوار.

ولك أن تقدر الآن بنفسك ما ارتكست فيه العلمانية من الغي والضلال، وما يدعو إليه الإسلام من الهدى والرشد.

وستظل البشرية في هبوط كلما سارت على الخط العلماني؛ ولن يصعدها من دركها إلا الرشد الإسلامي.

ما نبذته أوروبا ليس بدين وأن دين الإسلام الذي يدعون إلى فصله عن الحياة هو الحق المنزل من عند الله المحقق للتنمية البشرية في مختلف مناحي الحياة، وهو محفوظ من كل عبث أو طيش.....

.....«إن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه لم يدشن في مدن أوروبا النصرانية، ولكن في المراكز الإسلامية: فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة»

أقوال مأثورة وحكم منثورة

- قال الأحنف بن قيس : «إن عجبت لشيء فعجبي لرجال تنمو أجسامهم وتصغر عقولهم.

- الحق كالزيت يطفو دائماً.

- الحقيقة مثل النحلة تحمل في جوفها العسل وفي ذنبها الإبرة.

- لا تتم الأعمال العظيمة بالقوة ولكن بالصبر.

- يخسر من الجروح كل من لا يعرف الألم.

- لماذا الخوف والشمس لا تظلم في ناحية إلا وتضيء في ناحية أخرى؟

- مهما قدمت للذئب من طعام فإنه يظل يحن إلى الغابة.

- من رفع نفسه فوق قدرها صارت نفسه محجوبة عن نيل كمالها.

- إذا سئل غيرك فلا تجب، فإن ذلك استخفاف بالسائل والمسؤول.

- قال أفلاطون : «من يأبى اليوم قبول النصيحة التي لا تكلفه شيئاً فسوف يضطر في الغد إلى شراء الأسف بأغلى سعر».

مفهوم الأدب الإسلامي عند نجيب الكيلاني (3)

إن اختيار الاديب لموقفه الفكري أو لمضمون عمله الأدبي عند نجيب الكيلاني يستند إلى دعامتين أساسيتين وهما :

1- المعتقد الفكري للأديب.

2- التشخيص الصحيح لمشاكل المجتمع وسلبياته واحتياجاته، التي تحتاج إلى الأسلوب الأمثل لحركته الشاملة.

فالارتباط بين الدعامتين ارتباط عضوي، ومن ثم فإنه من الصعب الفصل بينهما لما بين الاثنين من علاقة متبادلة والقائمة على التأثير والتأثر، الأخذ والعطاء؟

ومن هذا المنطلق فالأدب الإسلامي يتواءم مع هذه المفاهميم الاجتماعية للأدب، بل إن العلاقة بين الأدب والحياة، أو الأدب والمجتمع علاقة واضحة جلية في فكر الأديب المسلم الذي يدرك أبعاد رسالته، وهي تجاربه الحضارية، ويفهم التلاحم الوثيق بين المبادئ الاسلامية وحركة الحياة على مدار العصور والأزمنة.

إن الأديب المسلم ليس منغلقا في قمقم التراث والتاريخ القديم، بل إن رسالته في الحياة لا تستقيم ولا تكتمل على وجهها الصحيح والسليم إلا إذا عايش عصره، واستوع آلامه وآماله، وشخص داءه، وضبط مقاييسه التي ينظر بها للأحداث، وكان قادرا على الحوار العلمي من جهة والعطاء الفني من جهة ثانية.

ولا حاجة بنا إلى ذكر القاعدة التي تعتبر الأديب يعيش في واقع عيني تؤطره حدود زمانية ومكانية تلعب دورا فعالا في تشكيل وبلورة إحساسه وأفكاره وتطلعاته وغيرها من الامور التي لا تلبث أن تطفو على السطح في شكل ممارسات أدبية واجتماعية، والأدب الإسلامي لا يجادل في هذه القضية، ولكن النتائج المترتبة عنها هي التي يضعها تحت مجهر البحث والتحليل. وقد يقول قائل : إن استقصاءا بسيطا للانتاجات الأدبية تبين لنا بأن المشاكل المحلية تتخذ طابع الشمولية والاحتواء الكلي للجنس البشري. هذا صحيح، والأدب الإسلامي لا يناقش هذا الجانب لأنه خطوة يدعو إليها ويتبناها في كل وقت وحين. لكن المسألة من منظور الأدب الإسلامي تتخذ شكلا ذا طبيعة مختلفة فكريا وفنيا، فمن باب أولى أن يعيش الأديب بعقلية ونفسية توسع مفهوم الآخر والواقع والجماعة، فتدل هذه الكلمات في أدبياته على العربي والأوربي والأمريكي والأسيوي والإفريقي.. وتتخذ مأساة الآخر مفهوما حاضرا في الذهن والفكر والوجدان وليس مفهوما حياديا كما هو حالنا اليوم.

إن الأديب المسلم يعيش ويساير هذه الأجواء الكونية وما يترتب عنها من مشاعر وخلجات، وأحاسيس وآهات. ولقد تجسدت هذه المعاني بصورة عميقة في كل ما أنتجه الكيلاني من أدب إلى درجة أنها تشكل إحدى زوايا رؤيته الكونية، ويكفي أن نذكر في هذا السياق أبياتا شعرية من قصيدة "الشيطان" المقتطفة من ديوانه الشعري "كيف القاك" والتي يقول فيها :

شيطان من ينهر أيتام الدرب
أو يبني أسوارا للحب..
أو يشمل بين الأحباب الحرب..
الأرض وكل القارات الخمس
مجال للحب..
والبسمة فوق شفاه الأطفال
يطفئها ليل الأغلال الأسود
القيم العليا - لو تعلم -
تكره لغظ الأسوار
يهدمها الأحرار
أقدس معركة في الدنيا
معركة تهدم فيها الأسوار
انسام الحرية تروي الظمآى طول الدهر
فليخسأ زمن القهر..

د. عبد المنعم الوكيلي

الأقليات المسلمة في روسيا.. معاناة عمرها قرون

مسجد موسكو تم ترميمه على يد حرفيين مغاربة وحظي بهبة ملكية

رشيدة بنرحمون
باحثة في اللغة الروسية وتاريخ الأديان في أوروبا الشرقية

ارتبط اطلاع روسيا على الإسلام وبداية انتشاره فيها بتطور العلاقات التجارية مع العالم العربي والإسلامي، وهي علاقات تعود جذورها إلى العهود المبكرة في العصر الوسيط وكذلك إلى الطريق التجاري الشهير» من الفرياغ إلى اليونان» الذي يمر عبر أراضي الدولة الروسية القديمة ويربط بين البلاد الاسكندنافية وبيزنطة.

الفولغا أول كيان نشأ في أراضي روسيا الحالية، وله تقاليد ثقافية إسلامية مسجلة رسميا وقد حصل ذلك عام 921م أي قبل اعتناق روسيا القديمة وعاصمتها كييف الديانةالنصرانية،وقبل تبني الأمير فلاديمير النموذج البيزنطي بمائة سنة. ويعتقد المؤرخ شهاب الدين مرجاني أن البلغار اعتنقوا الإسلام قبل ذلك التاريخ،

أي قبل وصول أحمد بن فضلان إلى هذه المنطقة. وتشير المصادر الإسلامية إلى أن بلغار الفولغا وهم جيران الخزر كانوا أكثر اتصالا بالمدنية الإسلامية، ففي سنة 921م وفد على الخليفة المقتدر سفراء من البلغار، الذين اهتدوا إلى الإسلام وطلبوا أن يرسل إليهم بعض العسكريين المتخصصين في بناء القلاع والحصون،وكذلك بعض العلماء لتدريس الإسلام.وكان بين الهيئة التي أوفدها الخليفة ابن فضلان الذي وصف الرحلة من بغداد إلى بلاد البلغار ثم العودة إلى بغداد مارا ببلاد الخزر.

وكان ظهور التبشير الفردي الإسلامي -خارج العالم الإسلامي- مرتبطا بالتصوف الإسلامي، فيحكى دائما في مناقب الصوفية أنهم استطاعوا إدخال كثير من الناس في الإسلام، وقد ظلوا حتى وقت قريب أكثر توفيقا من العلماء الذين درسوا في المدارس.

وتشير أولى الدلائل على وجود موسكوإلى أنها كانت منذ التأسيس مدينة تجمع بين تقليدين روحيين وثقافيين قوميا ودينيا، ويعودان إلى الإسلام «ممثلا في بولغاريا حوض الفولغا الذي اعتنقوه» وإلى النصرانية البيزنطية التي باتت دينا للدولة الروسية ونمطا لحياة معظم سكانها، بسبب الخيار التاريخي الذي أقدم عليه الأمير فلاديمير عندما فضلها على الإسلام.(تحريم الإسلام للخمر ولحم الخنزير).

يتوسع مسلموروسيا على مساحة كبيرة من الأراضي الروسية تشمل 14جمهورية ومنطقة إدارية، وتعتبر أماكن تجمعاتهم مناطق شديدة الحساسية لجغرافية الدولة الفيدرالية، وهي على الشكل التالي: ست جمهوريات وإقليم إداري وسط روسيا وعلى حدودها كازاخستان،سبع جمهوريات في شمال القوقاز على الحدود مع جورجيا وازربجان وأرمينيا وعلى مقربة من حدود تركيا وإيران.

وتعد باشكيريا وعاصمتها أوفا من أهم الجمهوريات الإسلامية ومن أهم مراكز المسلمين في روسيا،كما تعد أهم مراكز الدعوة الإسلامية في القسم الأوروبي من روسيا.

تحتل جمهورية تتارستان أهمية كبيرة عند مسلمي روسيا وتمتاز مدنها بالطابع الإسلامي خصوصا العاصمة قازان وهوما جعلها وجهة للسياح المسلمين والأوروبيين.

يضاف إلى بشكيريا وتتارستان الوجود الإسلامي الواضح والمؤثر في الشيشان وداغستان.

أكثر المسلمين في روسيا أحناف وبعضهم شافعيون ولا وجود للمالكيين، أما بالنسبة للمذهب الشيعي فيوجد في الحدود مع ايران.

ظهرت أولى الجاليات الإسلامية في سيبيريا في النصف الثاني من القرن الهجري الأول عندما هاجر إليها عدد من المسلمين من مدن «بخارى» و«سمرقند» و«قازان» بآسيا الوسطى، وعملوا على نشر الدعوة الإسلامية بين قبائل «الإسكيمو»، لذا فإن الإسلام هوأول دين سماوي عرف في هذه المنطقة التي تعتبر أكبر صحراء جليدية في العالم،

ولم تقف الظروف المناخية الصعبة حجر عثرة في سبيل نشر الإسلام والتعريف بهداياته وقيمه وتعاليمه السمحة في بلاد الإسكيمو.

وقد حققت الجالية الإسلامية في سيبيريا العديد من المكاسب الإيجابية لصالح الدعوة الإسلامية،حتى تأسست هناك دولة إسلامية خالصة،فقصدها العلماء من المدن ذات الشهرة في تاريخ الإسلام بمنطقة آسيا الوسطى.

وفي القرن التاسع الهجري بدأت تنشأ أول المدارس التي تدرس المواد الإسلامية كالتفسير والحديث والفقه حتى أصبحت بلاد ما وراء النهر حصنا من حصون الإسلام كمدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة،وانتشر المذهب الحنفي في هذه المناطق.

وابتداء من القرن الثامن والتاسع الميلادي أصبحت طشقند مركزا كبيرا لتقدم الثقافة الإسلامية، ومن أبرز علماء المذهب الحنفي برهان الدين مرغيناني مؤلف كتاب «الهداية» ومحمد بن علي عقال الشاشي «أصول الفقه» الذي يعد أساسا للمذهب الشافعي.

كما ساهمت بلاد ما وراء النهر في تقدم الشريعة الإسلامية وبزوغ أعظم أمجاد الإسلام بتأليفهم أهم منابع الإسلام بعد القرآن الكريم كأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب «صحيح البخاري» وسنن الترمذي، والنسائي كما أنشأ أبومنصور الماتريدي إحدى أهم المدرستين في العقيدة الإسلامية السنية بمدينة سمرقند «مدرسة الماتريدي».

ثم كذلك شيوخ المفسرين كابي البركات عبد الله بن احمد النفسي، ومنهم أئمة التأليف في البلاغة وإعجاز القرآن كالشيخ الجرجاني، وسعد الدين وحكيم الفكر الفلسفي في الإسلام الحكيم أبونصر الفارابي وابن سينا والزمخشري والرازي والبيروني.

ونحن في المغرب نعتمد الكثير من هذه الكتب ويجهل البعض البلاد التي أنجبت هؤلاء العظام.

تتمركز في بلاد ما وراء النهر مجموعة من المخطوطات الشرقية من بين هذه المخطوطات المصحف العثماني، والمصحف المكتوب بالخط الكوفي.

ومن أهم المخطوطات مصحف الخليفة عثمان رضي الله عنه وهي أقدم نسخة مكتوبة للقرآن تتكون من 353 رقعة من جلد الغزال وقد قام الأمير تيمور بحفظها في أوزبكستان بعد غزوه العراق.

لقد كانت بلاد المسلمين في قمة الحضارة والوئام حتى توفي الأمير بركة خان فبدأ الصراع على السلطة بين الأمراء فتفككت دولة المسلمين إلى عدة إمارات مما سهل السيطرة عليهم، فتجمع الروس حول أمير واحد هو أمير موسكو وبدؤوا بعد أن قوي أمرهم بمطاردة المسلمين، وأثار همتهم فتح القسطنطينية التي كانت تعتبر «روما الثانية» بالنسبة لهم،ثم كذلك قيام الحروب الصليبية في أوروبا،ففي عهد إيفان الثالث بدأ التمرد على المسلمين.أما في عهد إيفان الرابع الملقب «بالرهيب» فقد اتبع سياسة توسعية في حكمه،كانت تهدف إلى الربط بين بحر البلطيق وبحر قزوين. وبذلك خاض إيفان الرابع وهوأول قيصر لروسيا حروبا توسعت بنتيجتها أراضي روسيا لتصبح إمبراطورية مترامية الأطراف.قام إيفان الرهيب عام 1552م بمحاصرة «قازان» وارتكب فيها مجازر جماعية.وفي 1554م تمكن من الاستيلاء على أسترا خان، وأصبح بذلك نهر الفولغا قناة روسية بحتة تسهل الوصول إلى بحر البلطيق.ومهدت الطريق للتوسع الروسي إلى ما خلف الأورال وهي جبال تحد من أوروبا الشرقية وآسيا ثم تم الاستيلاء على سيبيريا عام 1555م. وقد أتم هذا التوسع كذلك كل من الإمبراطور بطرس الكبيروكذلك إيكاتيرينا الثانية،فأصبحت روسيا من أكبر بلدان العالم. إلا أن هاتين الشخصيتين بحكمتهما ودهائهما استطاعا أن يكتسبا ود المسلمين وصداقتهم في الداخل والخارج.

قام كل من«بطرس الكبير» و«إيكاترينا الثانية» بمحاولات مشجعة في تطوير حركة الإستشراق .فقد دفع اهتمام «بطرس الكبير» المتزايد بالشرق وحضارته إلى تأسيس مراكز علمية مختصة مكنت من طبع وترجمة الآثار العربية، وكان من نتائج ذلك ظهور أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم على يد«بطرس بوسنيكوف» ومن أهم ما يميز «بطرس الكبير» هوحرصه الشديد على جمع المخطوطات والمسكوكات العربية فأسس لهذا الغرض «متحف النوادر» عام 1721م.

وسارت «إيكاترينا الثانية» على نهج « بطرس الكبير» وتميز عهدها بإدخال أول مطبعة بحروف عربية فكان أول ظهير إمبراطوري باللغة العربية،تطلب فيه نشر نسخ عديدة من القرآن ومؤلفات إسلامية أخرى التي وزعت على المسلمين كهدية من الإمبراطورة.

ومع بداية العشرينيات عرفت الحركة الإستعرابية الروسية، ظهور وجوه جديدة نالت شهرة عالمية،كبارتولد وكراتشكوفسكي الذي قام بترجمة معاني القرآن التي تعد من أحسن الترجمات.

بعد إقامة الحكم السوفيتي، وفي أعقاب انتقال العاصمة الروسية من بطرسبرغ إلى موسكو،باتت الأخيرة مركزا سياسيا وإداريا.

وجاء في نداء مجلس مفوضي الشعب «الحكومة» الذي وقعه فلاديمير لينين في 3 ديسمبر 1917م تحت عنوان «إلى جميع المسلمين في روسيا والشرق» إن «معتقداتكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصانة من الآن فصاعدا .فابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عائق.فلكم كل الحق في ذلك.

لكن في عام 1922م بدأت عملية قمع الحياة الدينية الإسلامية فاتخذت التدابير الموجهة ضد رجال الدين بالكنيسة الأرثوذكسية، لكن آلة القمع طالت الإسلام أيضا، ومن ذلك تصفية نظام التعليم الإسلامي العالي، وتقييد نشاط الكتاتيب والمدارس «الإسلامية الابتدائية والثانوية». واقترنت محاولة السلطة السوفيتية للسيطرة التامة على الأمة الإسلامية، وعلى نشاط أئمة المساجد،بطرح أفكار «ثورية» في أروقة الكرملين،مثل نقل دار الفتوى من مدينة أوفا إلى عاصمة الدولة. ونقل الإدارة الدينية المركزية لمسلمي وسط روسيا وسيبيريا إلى موسكوأوقازان. وفي سنة 1927م أغلقت «المجلة الإسلامية» التي كانت المطبوعة الدينية الوحيدة التي تصدرها الإدارة المركزية لمسلمي روسيا منذ سنة 1922م .كما تقرر منع الحجاج الروس من السفر إلى بلاد الحرمين وصودرت المساجد من أصحابها الشرعيين،وشغلتها مختلف المؤسسات والتعاونيات السوفييتية وصودرت نسخ القرآن الكريم.

وبعد الحرب العالمية الثانية استطاع المسلمون أن يكتسبوا ود ستالين لمشاركتهم في هذه الحرب دفاعا عن وطنهم ولشجاعتهم الكبيرة في القضاء على الفاشيين،فطلبوا من ستالين أن يبني لهم مسجدا عوض تقليدهم بالميداليات التي لا تعطى إلا للشجعان، وهكذا أعطى ستالين أوامره الغير القابلة للنقاش ببناء مسجد موسكو فبنى المسجد.

في ظل القوانين الدينية الجديدة، وعلى وجه التحديد روسيا الاتحادية حول «حرية الأديان» وحرية المعتقد والتنظيمات الدينية،وقد صدرا في أكتوبر 1990م، اكتسبت الحياة الدينية حرية لم تشهد لها مثيلا في تاريخ البلاد.وحالما توفرت أولى الإمكانيات طفت على السطح موجة الاهتمام بالإسلام التي كانت موجودة ضمنا لكن دون أن تظهر. ودهش لانفجار تلك الموجة خبراء مجلس شؤون الأديان،الذي تضاءل نشاطه وكذلك الجيل الأقدم من المسلمين الذين تعودوا على ممارسة عباداتهم بالسر وليس بالعلن.

وقد بلغت الصحوة الإسلامية ذروتها وغص مسجد موسكوالجامع، الذي حظي بهبة مولوية من أمير المؤمنين محمد السادس ورمم على يد حرفيين مغاربة، بالراغبين في دخول مدرسته الدينية، وعلى جناح السرعة نظمت إدارة المدرسةصفوفا جديدة لمختلف الأعمار.واستقدم للتدريس مستعربون مؤهلون وقد استجابوا لدعوة الشيخ راوي عين الدين مفتي روسيا.

بِنَبْضِ القلب

دار سينما... سينما

بادئ ذي بدء أعترف للجميع أني لست ناقدا سينمائيا ولا ملما بصناعة السينما، غير أنه ليس بالضرورة أن يلبس الإنسان معطف الناقد ليبدي رأيه في عمل فني ما، وبإمكان المواطن البسيط الذي يحمل هموم المغاربة أن يكون له رأي فيما يعرض على شاشاتنا الكبيرة.. فأحيانا وأنا أتابع الجدل الحاد الذي يثيره فيلم معين مدعوم من قبل المركز السينمائي المغربي الذي يمنح جزءا من ميزانيته من جيوب الشعب المغربي عن طريق الضرائب أتساءل عن الجدوى الفنية والواقعية التي يريد إيصالها إلينا بعض صانعي الفن السابع في وطننا، والذين انحسر همهم في كسر الطابوهات والتجرؤ على المقدسات بحجة التفتح والتسامح ومحاصرة التطرف وغيرها من المسميات، وهنا أطرح علامة استفهام كبيرة بحجم معاناة الإنسان المغربي : ألا توجد مواضيع يمكننا أن نجتمع عليها وتوحد همومنا وتطلعاتنا، لماذا نجد الدراما المصرية تنبش في تاريخ مصر وفي حياة روادها ومفكريها ومناضليها لتطلع علينا بأفلام ومسلسلات تشدنا إليها، وتحرك فينا زمن الحلم والمجد وحب الوطن..

أليس لنا تاريخ؟.. أليس لنا أبطال أمثال : محمد الخامس وعبد الكريم الخطابي، والزرقطوني والفطواكي وغيرهم؟ أليس لنا مفكرون أمثال : المختار السوسي، وعبد الله كنون ومحمد عزيز الحبابي....

أليست لنا معارك جهادية كالزلاقة ووادي المخازن ووادي زم... إن الذي يتتبع إنتاجنا السينمائي يحس بالخجل، عندما يرى صورة المغرب تتكسر تحت وطأة الجنس والجريمة بحجة رصد الواقع وكشف المستور، وكأن هذا الواقع المفترى عليه لا يحيط إلا بكل ما يخدش صورتنا لدى الآخر ويساهم في كساد قيمنا ومخزوننا الثقافي والاجتماعي..

فقليل من الواقعية يا مبدعينا... وقليل من حب هذا الوطن الذي افتقد حضن أبناءه.

ذ. أحمد الأشهب

أممية الإسلام... وأممية الماركسية

أ. د. عماد الدين خليل

يمكن القول، بإيجاز شديد، بأن الإسلام، على المستوى التاريخي، أقام ما يمكن تسميته بالأممية الإسلامية، وهي تختلف في جوهرها عن الأممية الشيوعية، فهذه تميزت بالصلابة والرؤية الأحادية، واصطرعت مع مقومات الشعوب وخصائصها الذاتية، وتعاملت مع الحركة التاريخية بمنطق الميكانيك، فانكسرت وخسرت فرصتها في نهاية الأمر.

إننا اذا قرأنا كتاب (القوميات والدولة السوفياتية) لهيلين كارير دانكوس، الخبيرة الفرنسية في شؤون الماركسية الآسيوية والذي صدر عام 1987 عرفنا أبعاد الخطأ الذي مارسته الأممية الماركسية فقادها إلى الضياع.

في التاريخ الإسلامي أتيح للجماعات والشعوب الإسلامية أن تعبرّ عن خصائصها ومقوّماتها الذاتية، وأن تتحقّق في دائرة تراثها الثقافي، ولكن في نطاق عالم الإسلام، وفي توازٍ معه، وليس في اصطراع أو تضاد مع همومه الأساسية وأهدافه الكبرى وثوابته التي تجمّع عليها كل المنضوين إلى هذا الدين. إنها أممية ذات مفاصل مرنة تتيح لها الديمومة، والحركة، والتنوّع، والتغاير، فلا تتعرّض للانكسار.

في ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نفسّر لماذا شهد عالم الإسلام وحدات ثقافية متغايرة بين بيئة وأخرى.. وحدات تستمّد مفردات نشاطها من تراثها الثقافي، ومن مؤثرات المكان والزمان، وتراكمات الخبرة ذات الخصوصية حتى في مجال اللغة والتعبير. فهناك مثلاً الثقافة أو البيئة التركستانية، والثقافة المغولية، والهندية، والإيرانية، والعراقية، والشامية، والمصرية، والمغربية، والسودانية، والإفريقية، والأندلسية، والبحر متوسطية، والأوربية.. إلخ. كانت هذه البيئات تمارس تأكيداً لذاتها وتعبيراً عن مطالبها المتميزة، لكن هذا لم يقدها إلى التضادّ مع الأهداف والثوابت الأساسية للإسلام.. على العكس، إنها كانت تبذل جهداً مضاعفاً من أجل تأكيد انتمائها الإسلامي، تارة بالجهاد والانتشار في الأرض، وتارة في صدّ هجمات الأعداء والاستجابة لتحدّياتهم، وتارة ثالثة بالدعوة إلى الإسلام في البيئات المجاورة، وتارة رابعة في تأكيد الصبغة الإسلامية للمعطيات الثقافية داخل كل بيئة.

إن المشرق والمغرب قدرا على أن يعبّرا عن ذاتيتهما المستقلة، فمنح هذا حضارة الإسلام تنوّعاً وخصباً. ولكنهما، وبموازاة هذا، كانا يتنافسان في الالتزام بالثوابت والأهداف الإسلامية، وفي تقديم المزيد من العطاء الذي يصبّ في هذه الأهداف.

إنها -كما سمّاها المستشرق المعروف فون كرونباوم- في الكتاب الذي أشرف على تحريره : (حضارة الوحدة والتنوّع). وهذا كلّه يمنح تصوّراً للمستقبل الإسلامي لا يقوم على الفراغ، إنما يستمد حيثياته من الخبرة التاريخية ويتجذّر فيها، ما دام الإسلام يمنح وحدة الشعوب الإسلامية، أو الأرض الإسلامية، هذا القدر من المرونة والمفاصل الحرّة، ويمكنها من التحقق بأممية غير قسرية، تتيح لكل المنضوين إليها أن يعبّروا عن أنفسهم في دائرة هذا الدين.

بارقة

ما أكثر الاحتفال بميلاد سيدنا محمد ﷺ وما أقلَّ العمل بشريعة الله وسنة نبيه عليه السلام

د. عبد السلام الهراس

أصبح مولد رسول الله ﷺ مناسبة كبرى للاحتفالات والابتهاجات وربما كانت المناسبة أكثر من الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى وقد اندفع المسلمون غربا وشرقا إلى اتخاذ هذه الفرصة محطة كبرى للتغني بمدائح رسول الله ﷺ شعرا ونثرا وإنشادا وغناء بل واحتفالات في الشوارع والأحياء.

إن محبة رسول الله ﷺ واجبة بعد حب الله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة. وكان يقول لنا أحد علماء المغرب رحمه الله:" إن هناك آية في كتاب الله تزلزل كياني وتدخل في قلبي من الرعب ما لا يسمح لي بطيب العيش وراحة البال هي قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحَبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(التوبة 9 / 24).

والتربص هنا انتظار عقوبة وأي عقوبة هي بمَنْ يؤثرون على حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ حُبَّ الأسرة والإخوان والأموال والتجارة والمساكن. يقول القاضي عياض رحمه الله في كتابه الشفا تعليقا على هذه الآية " فكفى بها حضًّا وتنبيهاً ودلالةً وحجةً على إلزام محبته ووجوب فرضها وعِظَم خطرها واستحقاقه لها ﷺ إذ قرّع الله تعالى من كان مالُه وأهلُه وولدُه أحب إليه من الله ورسوله بقوله تعالى: ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ ثم فَسَّقَهم بتمام الآية أنهم ممن ضلّ ولم يهْدِه الله.

ويروي حديثا بالسند المتصل عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحَبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وحديث «ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواهما ....»وحديث «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه» وقول عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ «والذي أنزَلَ عليك الكتاب (لأنت أحبّ إليّ من نفسي التي بين جنبي) فقال له النبي ﷺ: «الآن يا عمر».

والمحبة لرسول الله تقتضي محبة سنته واتباعها والذّود عنها والدعوة إليها ومناصرة من يعمل على نصرتها والحرص على نشرها بين الأمة ومكافحة الجهل بها والالتزام بتطبيقها وتجنب البدع المنهي عنها بل محاربة كل ما يلصق بالإسلام منها.

ومن محبة رسول الله ﷺ حبّ عترته وآله المناصرين لرسالته والملتزمين بأخلاقه والداعين لدينه والمجاهدين حفظا على أمته والموالين لمن والاه والمحاربين لمن حاربه وعاداه والعاملين بكتاب الله الذي أُرْسِلَ به وتطبيق سنته والسير على هديه ومحبة صحابته، أما إذا كانوا يحاربون الله وسنة رسول الله ويساندون أعداء الله في حربه على الإسلام والمسلمين فيُلْحَقون بأبي لهب عم الرسول ﷺ الذي كان يحارب دعوته ويكفر بنبوته هو وامرأته حمالة الحطب التي في جيدها حبل من مسد.

إن أكبر احتفال برسول الله ﷺ هو في الاتباع لا في الابتداع وفي إقامة الشرع الذي أرسى قواعده لا في نقضه وطمس معالمه، وفي نصرة أمته لا في محاربتها ومشاركة أعداء الإسلام في الفتك بها وتشريد شعوبها ونهب خيراتها وتبديد أموالها.

إن حقيقة الاحتفال برسول الله ﷺ التي يفرح بها رسول الله ﷺ أن تصبح أموال المسلمين وثرواتهم في خدمة دينه ونشر أخلاقه وتطبيق أحكامه وإغاثة المسلمين الفقراء في إفريقيا وآسيا وغيرهما لا أن تكون مكدسة في بنوك من يحارب الإسلام والمسلمين، ولا أن تكون في نشر الفجور والموبقات عبر الفضائيات الكثيرة التي تخرب أخلاق الشباب وتقوض رجولتهم وتفتك بتماسك الأسرة الإسلامية التي تعتمد عليها أمة محمد ﷺ الذي نحتفل اليوم بمولده.

وأن تُصْرَفَ أموالُ المسلمين في نشر العلوم والمعرفة، وفي إعداد رجال النهضة ونسائها وفي الارتقاء بمستوى القيادات والتسيير والتوجيه لا في التفاهات ومجالات الإسراف والتبذير.

إن حقيقة الاحتفال برسول الله ﷺ أن يرى أمته قد توحّدتْ وجهاتها وتنافست جهودها في الخير وتآختْ شعوبها واختفت الفتن فيما بينها وتناصرت على الحق وتولى قيادات شعوبها عقلاؤُها ومخلصُوها، وقد برئت وصحَّتْ من زعاماتِ السفهاءِ الداعين إلى الفرقة والتمزيق والفتن الخاضعين لإرادة المحاربين لله ولرسوله في كل مكان.

إن الاحتفال برسول الله ﷺ يكون مقبولا عند الله ورسوله ومن أهم ذلك أن يكون القائمون بالاحتفالات ضمن قول الله سبحانه تعالى : ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرجَ شطْئَهُ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ليغيظ به الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾(الفتح : 29).

﴿لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(آل عمران : 104). ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾(البقرة : 143).

وحينئذ يحتفل المسلمون بمولد الرسول ﷺ وبمبعثه ﷺ وبهجرته ﷺ وفتحه مكة المكرمة وبانتصارات أمته وانتشار دينه وبرفع ذكره وباختيار مؤلفين غير مسلمين من أمريكا- التي لا تَكِلُّ في محاربة أتباع رسول الله ﷺ- أول قائد عظيم للإنسانية جمعاء في تاريخ البشرية.